
مسرح
ماحدث بعد ذلك..
هلال البادي

إهـــــــداء ٢٠١٤

الاستاذ الدكتور خالد عزب

جمهورية مصر العربية

ما حدث بعد ذلك!

ما حدث بعد ذلك !

مسرحيات

هلال البادي

الطبعة الأولى: 2013 (مسقط)

الناشر:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل:
alghshamoman@gmail.com
هاتف: 24398889 - 99260386
ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320
www.altakween.com

تصميم الغلاف :

سارة بنت سعيد العلوية

لوحة الغلاف:

تيم هلال البادي

رقم الإيداع 444/ 2013

ما حدث بعد ذلك!

هلال البادي

الشخوص

الكاتب

الممثل

صاحب المقهى

البقال

قائد الشرطة

الراوي

بائع السمك

الخطيبة

الطبيبة

الشرطي

شيخ التجار

مهندس الاتصالات الخارجية

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية

نائب رئيس البلدية

توضيحات أولية

بالنسبة لتصميم مناظر المسرحية فإنها تتحرك في عدة اتجاهات: ساحات المدينة المختلفة، المقهى، البناية، الزنزانة، قاعة الاجتماعات.. وهذه هي المكونات الأساسية التي يمكن الاشتغال عليها في إطار العرض الكامل، وفي حالة وجود إمكانيات فنية يمكن أن يتم استغلال أشياء مبسطة تتبادل الأدوار أثناء العرض فتصبح ساحة المدينة هي الزنزانة وهي قاعة الاجتماع وهي المقهى وكذلك الفضاء الخالي من الزوائد إلا الكرسي والمنضدة في بعض المناظر التي تحتاج إلى ذلك كالبداية مثلا..

كما أن لعبة الضوء وخاصة في المناظر التي تحتوي على الزنزانة سيكون لها أثر مميز، فقضبان الزنزانة وهمية ويعبر عنها من خلال الأضواء المكثفة أو الإيهام بوجودها من خلال أداء الممثلين

وبالنسبة للممثلين فإن بعضهم قد يقوم بأكثر من دور، ليعطي أبعادا متعددة للعرض والذي يعرفه المتلقي سلفا بأنه أجواء عرض مسرحي

أولا: حوار طويل لا ينتهي!

(الصالة خالية إلا من كرسي: يمكن استغلال الستائر السوداء والإضاءة في هذا المنظر لتعطي الحيوية على الحدث الحاصل في المنصة..

يمكن للراوي أن يكون حاضرا على المنصة، ويمكن سرد الكلام التالي على لسانه، وعموما فإن هذا الكلام المكتوب هو توصيف لحالة المسرحية وأزمتها، ومن خلاله يمكن استنباط أشكال الإخراج الممكنة)

الراوي:

لا أفترض من وراء هذه المسرحية أي دلالات يمكن استنباطها، إذ أني أقوم بمهمة الكاتب الذي فقد الذاكرة، أو أفقد الذاكرة خلال قيامه بالإعداد لهذا العرض. ما أقوم به هو محاولة لاسترداد ما يمكن استرداده من أصول العمل المسرحي، ولذا فإن الجمهور هو أيضا مساهم بشكل أو بآخر في هذا العرض!

المنصة الآن في هذه اللحظة بالذات شبه خالية، وما يوجد هو ما يشبه الأطلال، أو تلك اللمسات الديكورية التي يمكن أن يكون المخرج قد اقترحها، وسيكون على المنصة الممثل والكاتب الحقيقي، وربما من خلال ما سيتم بينهما سنصل جميعا إلى العرض النهائي

وقد استنتجت من خلال وجود الكاتب والممثل أن هناك طاولة وكرسيا، وبأن الظلمة تكاد تسيطر على الخشبة، وبأن ما يحدث الآن أشبه ما يكون بتحقيق!

الكاتب:

وماذا حدث بعد ذلك؟

الممثل:

هه.. أنت غريب أيها الكاتب! تسألني أنا ماذا حدث بعد ذلك؟ ألا يفترض بك أنك الكاتب؟ الكاتب الذي صنع كل شيء؟ ما أنا إلا الممثل يا عزيزي، كيف لي أن أعرف ما حدث بعد ذلك؟

(الممثل يقتعد الكرسي، فيما الكاتب يحاول أن يضع أسئلة منطقية يصل فيها إلى ذاكرته)

الكاتب:

لابد أنك تعرف.. في الحقيقة أنت لا ينبغي عليك سوى أن تجيب، حتى وإن كان دورك هو أكبر من مجرد الإجابة! ولذلك أصر عليك الآن أن تخبرني بما حدث

الممثل:

نحن الآن هنا منذ ما يزيد عن ساعة، أو حري عليّ أن أقول بأني لم أعد أعرف كم من الوقت نحن هنا، وأنت تمارس هذه اللعبة، وتقوم بطرح تساؤلاتك، وأنا قلت لك ما أعرفه فقط، وأنا لا أعرف سوى أنك أعطيتنا فكرة مفادها أننا سنمثل مسرحية فنتازية، أو شيئا من هذا القبيل، وبها إسقاطات ما، ولم تعطنا أي شيء.. ولو لاحظت أيها الكاتب ليس هناك من أحد سواي أنا وأنت، ولم يأت أي ممثل أو أي أحد من طاقم المسرحية، حتى المخرج غير موجود! أنا وأنت فقط!

الكاتب:

لكأنك تهزأ بي! اسمع.. واجبك يحتم عليك أن تجيب على أسئلتي، فأنا هنا لأتذكر ما حدث، لأعرف كل شيء، ليكون لكل شيء جدوى ومعنى، ليكون لك أنت قيمة.. هل تفهم؟

الممثل:

أهاه.. لقد قلتها بنفسك: جدوى ومعنى.. وهذه ليست مهمتي أنا الممثل، مهمتك أنت، ومن بعد المخرج، فإذا كنت يا عزيزي الكاتب لا تعرف ماذا حدث، أو ماذا كتبت فتلك ليست مشكلتي أنا، إنها مشكلتك أنت

الكاتب:

طيب، أنت تعرف جزءا من الحكاية، تعرف ماذا ينبغي أن نفعل، أو ماذا كان ينبغي عليك أن تقوم به في المسرحية، وهو كما ذكرت أن تمثل دور البطل الذي يسعى وراء حبيبته في المدينة التي سقط فيها النظام، في ذلك الزمن الغابر، عندما قالوا لك بأنه لا يحق لك الكلام، وإلا فإنك ستنال العقاب الوخيم، ثم لأن لسانك طويل، ولا تكف عن التعريض بما يفعلونه من سوء في المدينة، وبإصرارك أن تواصل الحديث بصوت عال في كل ما يحدث، أو ما تراه أنت سيئا ويرونه خارجا عن اختصاصك، فإنهم قاموا بإخفاء حبيبتك، أو كما ذكرت أنت بخطفها، وربما فعلوا بها كل ما يمكن لك أن تتخيله.

الممثل:

هذا ما قد قيل لي بأني سأفعله في المسرحية، لكنني لم أقرأ النص بعد

الكاتب:

ولأنك لم تقرأ النص فأنت لم تعرف ماذا يحدث، أو ماذا سيحدث

الممثل:

ألم أقل لك إنها مشكلتك؟

الكاتب:

لا ليست مشكلتي وحدي الآن! ألا ترى أننا نشترك فيها كلانا؟ ألا ترى أننا الآن على الخشبة والجمهور يطالعنا ليعرف ما يحدث حوله؟ ألا ترى ذلك السخط جراء هذا الحوار الممل؟ جراء أننا وحدنا، وبلا حكاية، بلا أحد؟

الممثل:

هه.. وما دخلي أنا في هذا؟ أنا فقط ممثل لا أكثر ولا أقل

الكاتب:

وأنا الكاتب.. أعرف ما ستقوله

الممثل:

ولأنك تعرف ما سأقول، فمن المؤكد أنك تعرف ما حدث بعد ذلك

الكاتب:

يا ليت.. لكن على ما يبدو أنهم قاموا بمحو ذاكرتي

الممثل:

شيء مؤسف حقا

الكاتب:

لكنني سأحاول.. لقد قدر أن أمتلك القدرة التي من خلالها أستطيع المقاومة

الممثل:

هذا جيد.. حاول، ثابر، وستصل يا عزيزي الكاتب.. وهكذا نكون وصلنا إلى نهاية المطاف.. ولأن الوقت متأخر، فإنه ينبغي أن أنصرف

الكاتب:

انتظر.. ألم أقل لك إنك مساهم رئيس في هذا الأمر؟ ألا ترى الجمهور؟ إنهم هنا ينظرون إلينا.. لم تعد مهمتك هي التمثيل فحسب، بل بت الآن مطالبا بالمزيد.. لا تترك دورك هكذا دون أن تتمه، هل تفهم؟

الممثل:

هه.. الجمهور.. أين هذا الجمهور الذي تقول عنه؟

(تضاء المنصة بشكل أكبر، ليتضح لنا معالم الخشبة، وكذلك الجمهور الذي ينظر إليهما، وسيبدأ الممثل في مخاطبة الجمهور بطريقة تبدو ساخرة أو متشنجة، وما يهم الآن أنهما سيكشفان أنهما غير قادرين على الإفلات من قبضة ما يحدث)

هل تقصد هذه الجموع التي تنظر؟ ما دخلي بهم؟ إنني أؤدي عملي فحسب، لا أكثر ولا أقل.. فلتسألهم: هل مهمتي أن أبحث معك عما فقدته؟ ثم يا عزيزي، إن كانوا قاموا بشيء ضدك، فلماذا تدخلني معك في هذا الأمر؟ أنت صاحب القضية، تول أمرك بنفسك، واتركني في حالي

(في هذه اللحظة تصدر همهمات وجمل متعددة)

- عيب عليك يا رجل، أنت تتخلى الآن عن صديقك

- ما هذا الذي جئنا إليه؟ هل هذه هي المسرحية؟ أين الجميلات؟

- هؤلاء القوم يبدو أنهم لا يعرفون ما يفعلون!

- والله إنه عيب كبير أن يضحكوا علينا!

الكاتب:

هل سمعت؟ إن لم ترد أن تساعدني فلتساعد نفسك.. أنقذ سمعتك المهنية، وإلا لما عاد لك جمهور..

- ممثلون فاشلون

- نريد مسرحية، نريد مسرحية

الممثل:

أنت ما وضعنا في هذا الموقف المحرج.. (والآن سيتوجه للجمهور) أيها الناس، أيها الناس.. اسمعوني، هذا الرجل الذي هو جواري الآن، هو المؤلف، هو الكاتب، وهو لم يقم بواجبه مطلقا، ولم يكتب المسرحية، وجاء إلى هنا ليقول بأنه تعرض لشيء ما، لا أعرفه، وما فهمته أنه قد تعرض لضغط كبير حتى فقط ذاكرته، بالتحديد قدرته على كتابة هذه المسرحية.. وهو على ما يبدو غبي ولا يريد كتابة مسرحية أخرى، وها هو يورطني معه.. إنني بريء من عمله هذا

ممثلون فاشلون ممثلون فاشلون

أين المسرحية؟ نريد المسرحية

الممثل:

المسرحية في ذاكرته الخربة، وما أنا سوى الممثل.. كلموه هو، أخبروه بأنه كاتب فاشل..

كاتب فاشل، كاتب فاشل

الكاتب:

لا، لست فاشلا.. أنا أكتب من أجلكم، من أجلكم أنتم، وأتعرض لكل الضغوط من أجلكم أنتم.. أعيش حياتي في سبيل قضيتكم أنتم، في سبيل أن أكسر جمود حياتكم، أن أحاول التغيير بالفن، هذا هو عملي: أن أناضل من أجل قضاياكم البسيطة، وأن أضعها تحت مجهر هذه الخشبة الواسعة

الممثل:

ما شاء الله! كلام جميل، ومؤثر.. لكن ألا ترى أنك تكذب عليهم؟

الكاتب:

أنا لست كاذبا.. هذه هي الحقيقة

الممثل:

أي حقيقة؟ أنك تكتب من أجل الشعب؟ من أجل هذه الجموع؟ هذا الجمهور؟ ألا تكتب من أجل نفسك؟ من أجل أن تصبح ما تريد أن تصبح عليه؟

كاذب، كاذب

الكاتب:

لا، لست كاذبا، أنا إنسان صاحب قضية! وقضيتي هي أنتم! أرجوكم افهموا

الممثل:

لقد بانت حقيقتك.. هيا اعترف.. لقد جررت الناس إلى كذبة مفادها أنك تكتب من أجلهم

الكاتب:

وأنا كذلك.. لا داعي لأن تواصل هذا الطعن.. إلا إذا كنت منهم (يتهاوى على الكرسي فيما تعاود المنصة الإضاءة السابقة)

الممثل:

ممن؟

الكاتب:

من أولئك الذين جاؤوا يوما وأخذوا مني ذاكرة هذه المسرحية

الممثل:

هل لك أن تخبرني ما فعلوا حينها؟ كيف أخذوا المسرحية منك؟

الكاتب:

للأسف.. لا أعرف.. قد فقدت الذاكرة لحظتها!

الممثل:

هل سبق لك أن عملت أعمالا عدت خارجة عن القانون؟

الكاتب:

لا أتذكر

الممثل:

وكيف كنت تعيش؟

الكاتب:

أحلم بحياة جميلة

الممثل:

ماذا تقصد؟

الكاتب:

ما أقصده: أن نعيش أنا وأنت وهم ضمن سياق حياة مملوءة بالعدل، حياة لا يعتدي فيها القوي على الضعيف، بل يسخر قوته من أجل أن يجد هذا الضعيف قوته، أن يجعل من الطريق مضاءة ومسفلتة بعناية من أجل أن يمر الشيخ الكبير الضعيف عبره، أن يكون هناك ما يسند ضعف الأكثرية، أن يكون هناك قانون يحميهم، لا يضيعهم، أن تكون حرا يا صديقي، وأن يكونوا أحرارا لا يدوس عليهم أحد، أن يتساوى الجميع.. لم أكن أطلب مستحيلا، وهذا ما كنت أعيشه!

الممثل:

جيد جدا.. ولكن ألا تعتقد بأن طلباتك تضر ببعض منهم؟

الكاتب:

ولذلك قاموا بما قاموا به..

الراوي:

عند هذا القدر اكتشفت أني لن أصل معهما إلى ما أريده، ولذا أوقفت المشهد عند هذا الحد، وريثما يتم التجهيز للمشهد التالي، سأخبركم بأن ما سترونه الآن هو الجزء الذي وصفه الممثل للكاتب، أي المسرحية التي كان يكتبها المؤلف فاقد الذاكرة، ولربما من خلالها سنتعرف على ما حدث بعد ذلك

صمت ثم تتلاشى الإضاءة

ثانيا: أول الأثر: ثرثرة على الرصيف

(ساحة المدينة، وقت العصر

في المقهى

البقال وبائع السمك مع صديقهم الحميم صاحب المقهى)

الراوي:

وحدث أن تولى أمر الناس من لا يهمه سوى أن يكسب هو، فيما غرقت الناس في المشاكل والمصائب، وكان الله قد سلط على المدينة ذلك الوقت الجفاف عقابا للفساد المستشري في الزوايا والحارات والأزقة..

وكانت الصراصير قد تكاثرت، ولم تعد البلدية معنية بالتخلص من الفئران! وحدث أن رئيس البلدية أصيب بداء غامض أقعده عن العمل شهورا طوالا، وظن الناس أن ذلك ما هو إلا جزء من اللعنة التي أصابت مدينتهم!

ولأن عمال البلدية لا يعملون إلا عندما يرون حذاء الرئيس عند مدخل مكتبه، فإنهم الآن يشربون العصائر المستوردة، ويلقون النكات التي تتحدث عن الرئيس المريض!

أما رئيس الشرطة، فكان تعبا من آخر جولاته الليلية حينما اكتشف مؤامرة مزعومة قام بها بعض العاطلين عن العمل، والذين يجيدون النميمة بعد كل صلاة مغرب أمام الجامع الكبير، ويومها سمع اسمه مدرجا في نميمتهم فبدأ في التقصي، واكتشف من أحد مخبريه أنهم يعدون العدة للانقلاب على شيخ التجار، الرافض لأن يعملوا صيادين في مينائه!

وفيما كل ذلك يحدث لم ينتبه أحد إلى أن الناس كانت تعاني، وكانوا

يغرقون ويغرقون، وأحدهم فقط كان ضمن آخرين يحاولون أن يفعلوا شيئا ما حتى يفيق رئيس البلدية من غفوته ومرضه!

البقال:

آآآه يا زمن.. يبدو أن هذه اللعنة ستتواصل على مدينتنا

بائع السمك:

وماذا في أيادينا أن نفعل؟ الأيام والأسابيع والشهور تمر، والحال يسوء، ولا شيء يحدث ليتغير هذا الوضع.. متى يخلصنا الله؟

البقال:

إنها لعنة.. أقسم لك إنها لعنة هبطت على مدينتنا

صاحب المقهى:

كما يقول لي خطيب ابنتي عندما يحاول أن يكون موضوعيا: نحن السبب..

البقال:

هه.. أمازلت تصدق كلام خطيب ابنتك؟

بائع السمك:

ذلك الفتى المتعجرف؟ ألم تسمع الكلام والنصيحة وتفك ارتباط ابنتك به؟ إنه مجنون!

البقال:

ليس مجنونا، إنه ولد فاسد.. يريد لنا أن نكف عن التذمر ونقوم بشيء مفيد..

بائع السمك:

والمفيد كما يراه أن نفعل شيئا، أن نتحرك من أجل مدينتنا، أن نحررها من تسلط شيخ التجار، ذلك الجشع الذي أفسد سوق أسماكي!

البقال:

اسس.. إن له في كل مكان أذن.. ألم تسمع بحكاية العاطلين الذين نكل بهم رئيس الشرطة؟ اسكت، هذا أفضل!

صاحب المقهى:

هذا ما أنتم فالحون فيه.. السكوت.. لولا هذا السكوت لكان مقهاي مكان مثالي للناس، ولكن اليوم لم يعد لي أحد سواكما أنتما الثرثاران، وبضع غرباء يأتون بين الفينة والأخرى

البقال:

ما لنا سوى الصمت.. وكما أقول لكم: اللعنة أصابتنا جميعا

صاحب المقهى:

اللعنة أصابتنا جميعا! كف عن هذا الكلام.. أنت فعلا تحتاج أن تصمت!

بائع السمك:

لكن قل لي: ماذا حدث للعاطلين، أصحاب صلاة المغرب؟

البقال:

بعد التحقيق، واكتشاف المؤامرة، وبعد حلق رؤوسهم ولحاهم، تم الحكم عليهم بمدد متفاوتة، فبعضهم ثلاثون عاما، وبعضهم عشرون، وبعضهم سنتان وأحدهم براءة

بائع السمك:

يستحقون كل ما جاءهم! إنهم رأس الفساد.. هؤلاء العاطلون الذين لم يجدوا عملا يعملونه سوى ترهيب الناس بكلام بال وقديم

صاحب المقهى:

مساكين.. ما غرر بهم سوى الحال الذي وصلنا إليه! لولا ذلك لما وجدتموهم عاطلين

بائع السمك:

فليذهبوا للجحيم.. أمثالهم يستحقون الحرق

البقال:

هل تصدقان؟ جاءني في يوم أحدهم يعرض علي أن لا أتعامل مع مصارف شيخ التجار، وأن أتصدق بكل ما في محلي لأمثاله من العاطلين!

الغبي! يريدني أن أتضور جوعا

(يدخل رجل سائح ويتخذ مكانا ليس ببعيد، وهو بكل تأكيد سيكون الكاتب!)

البقال:

من الأفضل أن نكف عن هذا الكلام الآن.. وأنت اذهب وانظر ما يريد زبونك

صاحب المقهى:

ماذا سيجد عندي سوى كوب شاي أو فنجان قهوة؟ لكنه لن يندم على كل حال.. فأنا أفضل من يعد الشاي والقهوة في هذه المدينة

صمت ثم تتلاشى الإضاءة

ثالثا: البحث عن العاري!

(المتنزه العام في المدينة)

الممثل (في بقعة الضوء يلقي منولوجا للجمهور في انتظار مقدم خطيبته وحبيبته):

لقد كان قرارا سيئا ذلك الذي قررته بأن أتبع هذا المؤلف التعيس إلى الحكاية كي أوصله إلى نصه المفقود! ما ذنبي أنا في هذا الأمر؟ يفترض به هو والمخرج أن يبحثا سوية عما أضاعه! بالأحرى وحده فقط، هو الملام لا أحد غيره.. كيف له أن ينسى نصه؟ أن يفقد ذاكرته؟ أن يدعي بأنهم قاموا بمحو هذا النص بالتحديد من عقله؟ إنه نص عادي يا أصدقائي، ليس به إساءة لأحد، ليس به تعريض بأحد، حتى أولئك الذين تملكهم السوء ويفعلون من الآثام الكثير، لم يسئ لهم هذا النص.. (بطريقة هامسة) في الواقع أنا أشك في صدق مزاعم هذا الكاتب، وأعتقد أنه يريد أن يحقق إنجازا خاصا.. لقد أخبرتني العصفورة بأنه ـ أي الكاتب ـ كان يعاني من الإهمال في الآونة الأخيرة، وبسبب هذا الإهمال لم يجد أحدا يقرأ أعماله، ولكونه كاتب مهم كما يرى هو ذلك كان عليه أن يبتكر هذه الطريقة ويقول بأنه أحدهم قام بمحو ذاكرته..

بالطبع هو يستند إلى حوادث مماثلة لآخرين تم التعامل معهم هكذا، حيث محيت أدمغتهم، وصودروا، ومنعوا من فرصة التفكير، ولكنني لا أعتقد أنه واحد منهم.. أعتقد أنه كاذب وما يفعله الآن هو التلفيق!

الراوي:

في هذه اللحظة تدخل حبيبته التي انتظرناها طويلا، إنها فتاة جميلة

وتبدو حتى الآن مهذبة، ولكن ماذا يمكن أن تقول في اللحظات القادمة؟

الخطيبة:

ها أنت هنا يا أروع الرجال!

الممثل:

بالطبع يا عزيزتي ويا حبيبتي ويا نور عيني أنا هنا، أنتظرك، أنتظر أن يطل محياك عليّ فأنتشي!

الخطيبة:

يااه.. كلامك جميل جدا يا حبيبي.. ليت الرجال هكذا كلهم

الممثل:

إني يا شعلة حياتي لا أقول إلا ما هو صادق وحقيقي.. أنت تعرفينني جيدا..

الخطيبة:

والله لا أخاف من شيء إلا أن يتبدل كل هذا في غمضة عين، وبعد أن نتزوج ويقع الفأس في الرأس أصبح نار جهنم في نظرك وعليك أن تكفر عن خطيئتك الكبرى بالارتباط بي بأن تنكد عليّ حياتي!

الممثل:

حاشا لله أن أفعل هذا الأمر.. هل هذا الوجه يمكن له أن يخبئ رجلا كالذي تتحدثين عنه؟ إنك تظلمينني بكلامك هذا!

الحبيبة:

اضحك عليّ بكلامك هذا.. الرجال كلهم لا مأمن لهم!

الممثل:

بصدق.. كلامك هذا يجرحني

(يأخذ مكانا منزويا ويبدو عليه الحزن والتأثر)

الحبيبة:

هل حزنت؟ أنا آسفة يا عمري، لكنني أخشى أن تتغير..

الممثل:

وهل عهدت فيّ الغدر؟ أنا إنسان صاحب قضية، وهذه الأمور آخر ما يمكن أن أفكر فيه.. أنت تعلمين بأن أمثالي لابد أن يعيشوا هكذا، بقلب يتسع العالم كله، فكيف بي لا أستطيع أن أحتويك؟ وأن أعبر لك عن حقيقة شعوري الذي ليس كلاما فحسب، وإنما هو كلام وفعل!

الحبيبة:

أعرف يا حبيبي أعرف.. أعرف أنك صاحب قضية، وبأنك رجل مسئول أمام كلمتك.. لكنك تعرفني جيدا: أنا أخشى الغد!

الممثل:

ومن لا يخشى الغد هذه الأيام؟ في ظل أوضاع كالتي نعيشها؟

الحبيبة:

هل مازالوا يؤرقونك؟

الممثل:

لقد باتوا يهددونني بك

الحبيبة:

ويحي! ماذا تقول؟

الممثل:

ما سمعت

الحبيبة:

أنا دخلت للعبة؟ ألم أقل لك إنهم لا يلعبون؟ ولم تسمع كلامي.. وهذه هي النتيجة: بت معك مهددة الآن.. ألا تكف عن هذه الألعاب؟ إنهم شياطين، وأنت لن تقدر عليهم! هل تفهم؟ اسمع.. عليك أن تكف عن هذا الأمر! أن تتوقف حالا، وهذه القضية والمبادئ فلترمها إلى البحر.. لماذا نموت نحن وهم يعيشون في الرغد؟

الممثل:

ومن جاء بسيرة الموت الآن؟

الحبيبة:

أنت قلت إنهم يهددونك بي.. هذا يعني أنهم قد يقتلونني!

الممثل:

أنا لم أقل هذا الكلام، لكنهم قد يفرقون بيني وبينك

الحبيبة:

بالموت طبعا!

الممثل:

وهل الفراق هو الموت وحده؟

الحبيبة:

مهما يكن، أنا لا أريد أن أتأذى!

الممثل:

كلكم تقولون ذلك.. حتى أنت الآن تقولين: السلامةَ السلامة.. ما أضاعنا سوى هذا الصمت الغبي.. لكنني صاحب قضية، ولن أكف عن الكلام، ولن أصمت، وسأكشف كل ما يدور في المدينة من سوء، فإما أن يستقيموا وتعود مدينتنا إلى حالها الآمن، أو أن أذهب إلى أعمق ما يمكن أن يتصوروا، ولن توقفني مثل هذه التهديدات

الحبيبة:

وتتخلى عني؟ أنا حبيبتك تتخلى عني؟ أرأيت أنك تخالف ما كنت تقوله من الحب قبل قليل؟

الممثل:

أنا لم أتخل عنك، ولكنني أيضا لن أتخلى عن مبادئ من أجل السلامة

الحبيبة:

آآآه.. ما أكذب الرجال وأغباهم!

الممثل:

لتكفي عن هذا النحيب الآن، لم أعهدك جبانة هكذا! لو يعلم والدك بهذا الأمر ماذا سيقول؟

الحبيبة:

أبي صاحب المقهى أيضا ساذج إذ ينصت لك ولكلامك المدمر.. لا أحد يتحدث في السياسة هذه الأيام سواك أنت وهو.. ويا خوفي من يوم يأتي أفقد فيه الحبيب ثم الأب ولا يبقى لي سوى المقهى.. أصبح أنا بعد ذلك أبيع هناك فلا أجد سوى المجانين والعاطلين يأكلوني بأعينهم!

الممثل:

ذلك لأننا فضلنا الصمت جميعا

الحبيبة:

هذا يعني أنك لن تتنازل من أجل حبيبتك؟

الممثل:

والمدينة؟ ما مصيرها إن تنازلت؟

الحبيبة:

المدينة لها ربها فاتركها يتصرف هو فيها

الممثل:

هكذا نبدأ أول الطريق نحو الهاوية! بئسا لنا

(صمت يتبعه مباشرة دخول شرطي)

الحبيبة:

يبدو أنهم لا يضيعون الوقت!

الممثل:

عما تتحدثين؟

الحبيبة:

ها هو الشرطي قادم إلينا.. أرجوك تصرف وكأنك لا تعرفني.. أنا أتنازل عن حبك لي.. المهم سلامة الإنسان!

الممثل:

يا لسخافتك!

(يقترب الشرطي فيسأل)

الشرطي:

أنتما.. هل مر من أمامكما رجل مجنون؟

الحبيبة:

الحمد لله

الشرطي:

هل رأيته؟

الممثل:

لا.. لم يمر من هنا أحد سوانا؟ ما أوصاف هذا المجنون؟

الشرطي:

إنه يوازيك في الطول، لكنه أنحف منك.. نوعا ما.. و...

الحبيبة:

و.. ماذا أيها الشرطي؟

الشرطي:

نوعا ما لا يرتدي شيئا

الممثل:

لا يرتدي شيئا؟ كيف تتركون مجنونا هكذا في المدينة؟

الشرطي:

إنها قصة طويلة يا أخي: لقد حدث أن الحراس في مستشفى المجانين كانوا يقيمون حفلا للطبيبة التي تشرف على المرضى بالمستشفى، بمناسبة زواج أحد أقاربها للمرة الثالثة بعد ثلاث زيجات انتهت كلها بالطلاق!

وأحدهم قد ترك بغباء كبير الباب مفتوحا، فاستغل خمسة مجانين الموقف واستطاعوا الهرب من المستشفى..

الحبيبة:

ألم تقل إنه واحد؟

الشرطي:

حاليا هو واحد، فقد استطعنا بكل كفاءة نحن رجال شرطة المدينة أن نلقي القبض على ثلاثة منهم فيما أردينا رابعهم فخر قتيلا، وها نحن نبحث عن الخامس..

الممثل:

ما شاء الله.. ونعم الأمان! أهكذا يتركون عملهم من أجل حفلة!

الحبيبة:

إنها حفلة لطبيبة المستشفى ولابد من الاحتفاء بقريبها الذي لابد أنه سيد في زوجته الجديدة ما لم يجده في الأخريات.. العقبى لي!!

الشرطي:

إنه فعل إنسان مؤثر! وعموما لا تقلقا.. نحن شرطة المدينة لا أحد يضاهينا في السرعة، وسنقبض عليه

الممثل:

واضح جدا.. والدليل أنهم أرسلوا شرطيا واحدا للقبض على مجنون

الشرطي:

ماذا تقصد بكلامك هذا؟

الممثل:

لا شيء على الإطلاق.. لا شيء

الشرطي:

بل تقصد.. إنك تتهكم على عملنا.. نحن منضبطون للغاية يا أخ.. ولا نترك واردة أو شاردة إلا كانت في حوزتنا وانتباهتنا.. وليس ذنبنا أن ذهب الحراس لملاطفة الطبيبة.. هذا ليس من اختصاصنا!

الممثل:

بالطبع ليس من اختصاصكم.. هل ينكر أحد ذلك؟

الشرطي:

وهل يستطيع أحد ذلك؟ ثم ماذا يحدث إن قام شرطي كفء مثلي بتعقب مجنون مثله؟ إنه أمر سهل للغاية، وقد أمسكنا أربعة في غضون ساعة، والأخير سنعرف كيف نصل إليه ما دام عاريا!

الحبيبة:

تقصد ثلاثة بما أنكم قتلتم الرابع!

الشرطي:

لا يهم.. المهم أننا قبضنا عليهم.. في وقت قياسي

الممثل:

ونعم العمل!

الشرطي:

من الواضح أنك تسخر مني، وهذه جريمة يمكن أن تعاقب عليها يا أخ.. ولكنني شرطي ذو قلب طيب.. ولن أحرر في حقك محضرا لأنك لا تفهم طبيعة عملنا!

الممثل:

ما أضاع المدينة إلا مثل هذا التبجح

الحبيبة:

اسكت.. اسكت، وإلا فإننا سنضيع فيها!

الشرطي:

لكأنك ناقم على أحد! أو ربما متضايق من أمر ما..

الممثل:

وأيضا تجيد التحليل النفسي..

الشرطي:

لاحظ أنني حتى الآن أتعاطى مع واحد مثلك.. وأنت تكلمني وكأني عدوك.. يا أخي أنا ابن مدينتك وأعمل على حفظ الأمن فيها من أجلك، وبالطبع لا أريد منك أن تشكرني على ذلك، لأنه من صميم عملي، ولكن

على الأقل عاملني بقليل من الاحترام!

الحبيبة:

من أجل خاطري، لا تكبر الأمر في عقله، واتركنا نذهب بعيدا عن هذا المتنزه، يبدو أن المتنزهات لم تعد مناسبة لنا!

الشرطي:

اسمع كلامها.. وكن إنسانا هادئا.. والأفضل أن تنصرفا من هنا، فهذا المكان الآن لم يعد في أمان!

الممثل:

بالطبع.. فالمجانين والعاطلون عن العمل والفاسدون باتت الأماكن العامة مرتعا لهم، وذلك من أجل أن يعرف رجال الشرطة أمثالك كيف يعملون!

الشرطي:

أوووه.. لقد تحملتك كثيرا.. ولولا هذه الجميلة التي برفقتك الآن لكن لي تصرف آخر..

الحبيبة:

أستحلفك بالله أن تكف عن هذا وتمضي معي.. هيا (تشده من يده) وأنت سيدي الشرطي ستجد هذا المجنون العاري وتنقذنا من مخاطره.. جزاك الله ألف خير!

الشرطي:

شكرا لك، نحن نقوم بواجبنا فقط..

(يمضي)

الممثل:

اتركي يدي.. لابد أن أذهب لأكتب عن هذه الحالة.. هذا جزء من الفساد!

الحبيبة:

لتذهب.. لكن لتعرف أنك أنت من سيفرق بيني وبينك، لا أحد آخر.. هذا الحمق الذي تعيش فيه.. يا حبيبي الأحمق!

صمت ثم تتلاشى الإضاءة

رابعا: كاتب مجنون مجرم لا فرق!

(في المقهى من زاوية أخرى)

الراوي:

السائح الذي خلنا أنه سائح، كان هو الكاتب يفكر الآن في إمكانية أن يكون هذا هو نصه الذي يبحث عنه، وما زال البقال وبائع السمك يثرثران حول الوضع الدائر في المدينة، فيما صاحب المقهى يتأفف من زبونه الجديد

صاحب المقهى:

حسنا.. منذ ساعة وأنت تتخذ هذا المقعد وتفكر فيما لا نعرفه، ولم تطلب أي شيء، ولا حتى فنجان قهوة.. لكن فلتعلم بأن هذا المكان هو مقهى، ألا ترى؟ إنه مقهى في موقع منزو من المدينة، من هذه المدينة التي ما عادت المقاهي كمقهاي هذا لها وجود.. فإما أن تطلب شيئا أو أن تنصرف.. إنه مكان للرزق يا أيها الضيف.. وليس متنزها عاما.. هل تفهم؟

الكاتب:

نعم.. كلامك واضح، ولديك حق.. لكنني فعليا لا أرغب في أي شيء.. وعموما إن شرط الجلوس هنا هو طلب شيء فلتحضر لي شايا.. شايا بالنعناع إذا أمكن، أحبه هكذا.. وليكن بسكر قليل..

صاحب المقهى:

بات لدي الآن شك أكبر في أنك لست سائحا، وفي المقابل ينبغي أن أخبرك بأنك لا توحي بأنك مخبر.. فهل تسمح لي بسؤالك من تكون؟ أنت هنا للمرة الأولى أليس كذلك؟

الكاتب:

لست سائحا ولا مخبرا.. إني مجرد كاتب.. وينبغي أنني أعرفك جيدا

صاحب المقهى:

تعرفني؟

الكاتب:

ستفاجأ إن قلت لك بأني صانعك!

صاحب المقهى:

أستغفر الله.. ما هذا الكلام؟ هل أنت مجنون؟

الكاتب:

يعتبر الكتاب نصف مجانين، ولذلك لا ألومك.. المشكلة أني لا أتذكرك بشكل جيد، ولا أعرف إن كانت شخصيتك واضحة الآن للجمهور المتفرج.. هل تضحكهم؟ هل تثير استياءهم؟ هل لديهم تعاطف معك؟ لا أعرف.. لأني فقدت ذاكرة هذا النص، وقد جئت للمدينة كي أبحث عن الخيوط العريضة كي أعيد كتابته، وأقابل شخوصه.. وأنت واحد منهم.. بل أنت عنصر مهم!

صاحب المقهى:

لابدّ أنك محموم.. وبكل تأكيد تحتاج إلى طبيب.. أي كلام هذا الذي تقوله؟ من الأفضل أن أحضر لك ما طلبت، وألا أتحدث مع مريض مثلك.. بإذنك!

الكاتب:

من حقك أن تفعل كل هذا، وأكثر.. ليس من السهل على بطل في نص ما أن يجد الكاتب يحادثه..

صاحب المقهى:

بالله إنك لمجنون..

(ينصرف)

البقال:

هاه.. من أي أرض جاء هذا الغريب؟

بائع السمك:

إن كان يريد سمكا طازجا فأخبره أني أقدمه بأفضل الأسعار..

البقال:

ومن أين لك بالسمك الطازج وشيخ التجار يجرف البحر لشركاته وزبائنه الأغراب؟

صاحب المقهى:

إن السمك الطازج لديه ما إلا أحلام العاجز يبيعك إياها هذي الأيام، وعموما هذا المجنون جاء ليسري عن نفسه في محلي.. هل تصدقان؟ يقول بأنه كاتب وبأني بطل من أبطال مسرحيته؟ لابد أن الشمس لوثت عقله!

البقال:

كاتب؟ لربما كان ذلك تخفيا منه.. لابد أن يكون مخبرا

صاحب المقهى:

لا أتصور، وقد فاتحته في الأمر، وبدا مستغربا من هذا الاستنتاج.. تأكد أنه أحد المجانين الذين يلوثون هذه المدينة!

بائع السمك:

دعوني أستكشف ما حكايته.. أنتما تعرفان كم أنا بارع في الصيد، وبكل تأكيد سأصطاد شيئا ثمينا من فمه..

البقال:

هه.. لابد أنك ستصطاد سنا مسوسة!

بائع السمك:

ستريان..

(يتوجه إليه)

بائع السمك:

مرحبا بك أيها الضيف في مقهانا المتواضع..

الكاتب:

رائحتك تدل أنك بائع السمك، إن لم يخب ظني

بائع السمك:

ما شاء الله.. سمعتي اخترقت الأفاق..

الكاتب:

يفترض أنها ستحدث عندما تفعل شيئا في صالح المدينة.. لديك مستقبل براق.. لكن ستظل تعاني من مشكلة الرائحة!

بائع السمك:

أنت منجم على ما يبدو، ولست مجنونا كما قال صاحبي قبل قليل..

الكاتب:

صاحبك مسكين..

بائع السمك:

إنك شخص غريب عن هذه الضاحية، وما يزيد غرابتك كلامك هذا.. أخبرني ما قصتك؟

الكاتب:

هه.. لن تصدق إن قلت لك بأني كاتب..

بائع السمك:

سأصدق أكثر بأنك مخبر..

الكاتب:

ما قصتكم مع المخبرين؟ لا أتصور أنني وضعت في نصي مخبرا واحدا قط.. يبدو أن الفوضى عمت هذا النص منذ أن فقدته من ذاكرتي!

بائع السمك:

مهلا.. اشرح لي بالتفصيل الممل هذه الجملة التي قلتها كي أفهم! ماذا تعني بأنك لم تضع مخبرا في نصك؟ ما معنى هذا الكلام؟ هل أنت مجنون؟

الكاتب:

وهل سبق أن قال لك مجنون بأنه كذلك؟

بائع السمك:

لقد بدأت تثير حنقي.. إن لم تكن مخبرا، ولست سائحا، فأخبرني من تكون؟

الكاتب:

أخبرتك.. أنا كاتب!

بائع السمك:

ومنذ متى الكتاب يأتون المقاهي الوضيعة؟ لابد أنك تكذب..

الكاتب:

الكتاب أناس عاديون صدقني.. لا يفترقون عنك في أي شيء، وقد تكون

رائحتك أفضل بكثير من روائحهم.. اعتمد كلامي فأنا أعرفهم جيدا

بائع السمك:

إذا كنت كاتبا فأظهر لي علامة! لم يولد في مدينتنا كاتب منذ أمد طويل، والشخص الوحيد الذي يقارب الكتاب في مدينتنا شخص ناقم على كل شيء.. ودائما يكتب المقالات في الصحف، والتي في أحيان يتم رصدها ومنعها.. يقول بأنه حاليا سيكتب في الفضاء ويعلم العالم كله بوضع المدينة..

الكاتب:

أعرفه.. إنه نسيب صاحب المقهى، وهو لا ينال على إجماعكم.. فأنت مثلا ترى فيه أنه إنسان أحمق وسيؤذي نفسه في يوم لكلامه الكثير..

بائع السمك:

من أين لك هذه المعلومات إن لم تكن مخبرا؟ أنت بدأت تخيفني! (للآخرين) اسمعا.. لقد اكتشفت أن هذا الرجل ساحر ومنجم.. إنه يعرف ما أفكر فيه!

البقال:

أهذا ما اكتشفته؟ إنك فعلا صياد محترف..

صاحب المقهى:

قلت لك هذا الرجل مجنون.. ابتعد عنه قبل أن يصيبك أي شيء.. ربما جنونه معد..

الكاتب:

هم محقون يا بائع السمك.. عليك أن تبتعد.. وتأكد أن لك شأنا في الغد!

بائع السمك:

إنني متأكد أنك لست مجنونا.. أنت عراف كبير.. العرافون هكذا دوما..

البقال:

دعك من هذا الأمر وهيا بنا.. قد تأخر الوقت.. ها المغرب يقترب.. وعلينا أن ننهي عملنا..

صاحب المقهى:

اسمع من يتكلم! ألا تكف؟ لقد أغلقوا محلك منذ شهور..

البقال:

هل تعايرني؟ لابد أن يأتي الدور على مقهاك هذا، ونصبح أنا وأنت متماثلين..

بائع السمك:

ولحظتها سنكون كالعاطلين.. وربما تفقهنا فيما تفقهوا فيه.. المشكلة أن حياتنا ساعتها ستصبح بلا قيمة، ومن السهل على رئيس الشرطة أن يلقي بنا في ظلمة الحديد كما ألقى بغيرنا!

صاحب المقهى:

اذهبا الآن وافعلا شيئا مفيدا..

البقال:

نحن ذاهبان فلا تقلق.. وسجل الطلبات على الحساب كالعادة!

صاحب المقهى:

وما بيدي غير ذلك؟

بائع السمك:

بإذنك..

(صمت)

صاحب المقهى:

وأنت، ألن تنصرف؟

الكاتب:

لا، ليس الآن.. لكن إن كان وجودي يزعجك فإني سأنصرف..

صاحب المقهى:

لا عليك.. لن يأتي أحد هنا والكراسي ستظل فارغة!

(ينصرف إلى داخل المقهى)

الكاتب:

أعلم أنك لن تنزعج، لكن ما لا أعلمه هو وقت الذروة.. ما تم حتى الآن لا يوحي بشد وجذب.. إنها حياة عادية، هامشية، وليس هناك حدث قد يجعل الجمهور الكريم قادرا على المتابعة.. ما الحل؟ أريد حلا..

صمت ثم تتلاشى الإضاءة

خامسا: المجانين وحدهم الأحرار!

(بائع السمك وصاحبه البقال في طريق من طرق المدينة)

الراوي :

وفيما كان الكاتب يفكر في الحل، كان بائع السمك والبقال في طريقهما إلى المسجد، قبل أن يمر بهما الشرطي

البقال:

الحل أن نهاجر.. لا حل آخر!

بائع السمك:

أي حل هذا؟ نترك مدينتنا ونهاجر؟ لمن نتركها؟ للكلاب الضالة؟ للمجانين؟ لأمثال ذلك الجشع الذي يسمي نفسه شيخ التجار؟ ثم أين تريدنا أن نهاجر؟ إننا مثل الأسماك يا عزيزي: إن أخرجتها من مائها ماتت.. وسنموت إن تركنا مدينتنا!

البقال:

إن لدي أطفالا لم يشبوا بعد عن الطوق، وهم يحتاجون لرعاية، وأنا الآن بلا عمل، وما أتقوت به هو ما يأتيني منك ومن الزملاء.. هل هذه حياة كريمة؟ إني أشهر بالإهانة كل يوم!

بائع السمك:

الصبر يا أخي.. الصبر.. لابد من حل لهذه المعضلة؟ فلنصبر..

البقال:

أي صبر وأي بطيخ؟ هذه المدينة على وشك الانهيار صدقني.. وإن لم تحل الأمور بشكل جيد فإننا ذاهبون إلى الهلاك..

بائع السمك:

أيضا عليك بالصبر

البقال:

أنت من يقول هذا الكلام؟ أنت؟ وما الذي قاله لك حتى أمسيت شخصا إيجابيا؟

بائع السمك:

بصراحة.. ذلك المجنون الذي يدعي أنه كاتب، قال لي شيئا مهما..

البقال:

ذاك المجنون؟ وما الذي قاله لك حتى تغير من نظرياتك وتصبح إنسانا إيجابيا؟

بائع السمك:

قال بأني سأفعل شيئا مهما لصالح المدينة.. لربما كنت أنا المنقذ!

البقال:

هههه.. إنك تضحكني! تصدق كلام إنسان مْخبول؟ أين عقلك؟ أم تراك

أصبت بالذهان؟ لابد أنه أصابك بالعدوى

بائع السمك:

إنه لم يقل إلا الحقيقة.. أنا فعليا أشعر بأن لي شأنا.. وسترى.. سيعلم الجميع ممن ضم مجلسنا بأني سأفعل شيئا يغير أحاول المدينة!

البقال:

مؤكد أنك أصبت بلوثة، وبأن ذلك المجنون جعلك خرفا مثله.. رحماك يا ربي، رحماك

بائع السمك:

أرجوك.. إنك تقل من مقدار رجل له الأيام القادمة

البقال:

هييه.. هل صدقت نفسك؟ إنها كذبة.. وأنت صدقتها.. أفق يا صديقي أفق.. ما أنت إلا بائع سمك مثلج! يبدو أن الجميع سيصيبهم الخرف في هذه المدينة.. لذا الأفضل أن نطبق خطتي في الهجرة إلى غيرها.. لابد أن نبحث عن مدينة جديدة نظيفة، لا يلوثها أصحاب المصالح والذمم المهترئة! بلاد لم تصبها اللعنة بعد!

بائع السمك:

لتذهب وتهاجر بنفسك.. أما أنا فإني موعود لأمر مهم لصالح هذه المدينة..

(يدخل الشرطي)

الشرطي:

هيه أنتما.. هل رأيتما مجنونا عاريا مر من هنا؟

البقال:

هاه؟

بائع السمك (هامسا):

أرجوك.. لا تذكر له ما أخبرتك به.. لئلا يفعل أمرا سيئا معي!

الشرطي:

هل قلت شيئا؟ يبدو أنك تعرف أين يمكن أن أجد هذا المجنون؟

بائع السمك:

في الحقيقة والواقع..

الشرطي:

نعم.. تفضل..

البقال:

هل تبحث عن مجنون؟

الشرطي:

نعم أبحث عن مجنون، من السهل التعرف عليه.. فهو.. عار

بائع السمك:

في الحقيقة المجنون الذي نعرفه ليس عار..

الشرطي:

إذن فأنت رأيته؟

البقال:

إنه يتحدث عن شخص آخر.. شخص مصاب بالحمى ولذلك بدا لنا مجنونا

الشرطي:

أخبراني أين رأيتماه؟

بائع السمك:

إنه في المقهى.. وهو ليس مجنونا.. إنه عراف.. وأنت تعرف: العرافون يكادون يكونون مجانين

البقال:

بل هو شخص مجنون.. يدعي أنه كاتب.. وبأننا من شخوص مسرحيته.. وبأن هناك جمهورا يرانا الآن، وما نحن إلا ممثلين!

الشرطي:

هذا شخص خطير.. لابد أنه وجد ملابس يستر بها نفسه.. لكن أين سيذهب من شرطي ذكي مثلي؟!

بائع السمك:

لا تسمع له.. ذاك الرجل إنسان مصاب بالحمى..

الشرطي:

مرة تقول بأنه عراف ومرة تقول بأنه مصاب بالحمى.. هل أنت قريب هذا المجنون؟

بائع السمك:

أنا؟ لا.. أنا فقط أقول ما أراه.. ذاك الرجل ليس مجنونا..

البقال:

بل هو مجنون..

الشرطي:

أنا أصدقك.. وهو مجنون خطير فر من المستشفى.. جيد أنه لم يؤذكما.. إلا إذا كنت قريبا له، فهذا أمر مختلف!

بائع السمك:

لست قريبه لست قريبه..

الشرطي:

هل تعتقد أنه ليس مجنونا؟

بائع السمك:

بل هو زعيم المجانين! ما دخلي أنا؟ ليكن كما شئتم: مجنونا، عربيدا، مقامرا، قاتلا.. أنا لا أعرفه مطلقا..

البقال:

إن كنت تبحث عنه فعليك بالمقهى الذي في نهاية الزاوية هناك.. لابد أنه مازال يجلس مضايقا صاحبنا صاحب المقهى!

الشرطي:

شكرا لكما.. أنتما مثال جيد للمواطنين الصالحين.. بإذنكما..

(ينصرف)

بائع السمك:

ماذا فعلت يا مجنون؟

البقال:

صه.. أنا لست مجنونا.. وإياك أن تقولها مرة أخرى.. إن لهم آذانا كبيرة، وبما أنهم يبحثون اليوم عن المجانين فأي واحد يقال له مجنون لابد أنهم سيقبضون عليه..

بائع السمك:

حسنا.. ماذا فعلت؟ لماذا أخبرته بأن ذلك الكاتب رجل مجنون؟

البقال:

وهل تعتقد أنه كاتب؟ وبأنه غير مجنون؟ إنه مجنون حتما.. ثم إنه غريب عن المكان.. لذا لابد أنه فار من المستشفى.. كما أن شكله يوحي تماما بأنه مجنون حتما..

بائع السمك:

أخ.. لقد أوديت بحياة إنسان بريء.. ما هذا الحمق الذي فعلته؟

البقال:

أرجوك.. كف عن هذا الزعيق.. أنت تميل له لأنه تنبأ لك بشيء غبي.. وليتك تدرك من تكون؟ وما هي وضعيتك في هذه المدينة المنهارة..

بائع السمك:

لكنني أصدقه.. ما أدراك أنت بأننا لسنا كما قال؟ وبأن هناك الآن جمهور يتابع؟

البقال:

فعلا قد أصبت بلوثة.. من الأفضل أن أمضي إلى حال سبيلي.. وإياك أن تقترب مني بعد اليوم حتى يخف هذا الهوس الذي ملأ رأسك.. بإذنك أيها السماك!

(ينصرف)

بائع السمك:

اذهب.. ولعلك ستعرف بعد حين ما هو شأن هذا السماك الذي لا تقدر قيمته!

صمت ثم تتلاشى الإضاءة..

سادسا: القهوة دائما مرة!

(ساحة المدينة، قرب الغروب

في المقهى)

الراوي:

يبدو أن ثمة ما يحدث مما لم يفطن له الكاتب في أصل نصه، فهو لم يدرك تماما أن الأحداث ستأخذ منحنى مختلفا عما كان يريد، ولأنه فاقد للذاكرة، فإنه لا يعي فعليا كل الأحداث.. إنه الآن يستنتج ويجمع الخيوط الأساسية لمسرحيته..

الكاتب:

لو أني فقط أتذكر ما حدث بعد ذلك؟.. لو.. إن أحوال المدينة سيئة، وما بت أعرفه الآن أن ثمة ما سيحدث في اللحظات القادمة، لكن ما هو؟ لا أعرف.. لماذا فعلوا فعلتهم وتركوني هكذا دون نصي؟ لكن كيف عرفوا بأمر المسرحية؟ إنني لم أخبر أحدا إلا المخرج الذي بدوره شرح قصتها لبعض الممثلين، كي يستعدوا لها، ولم أعطه أي نسخة منها؟ من ذا الذي سرب لهم أني أكتب مسرحية؟ ثم ما الذي أساءهم فيها؟ لابد أنه المخرج هو من فعل كل هذا! وإلا ما الذي جعله يختفي عندما احتجته؟ لكنني سأحصل على فكرة النص من جديد وسأكتبه.. سأجعل الناس يشاهدون عرضا مسرحيا مختلفا.. أنتم أيها الناس من المؤكد أنكم نادمون لأنكم حضرتم لهذا العرض، ولكنني أؤكد لكل واحد منكم أنه سيستمتع في نهاية المطاف..

صاحب المقهى (مقتربا):

أما زلت مصرا على كونك كاتب ملهم؟ إنك لابد أن تكون مريضا..

ومن الأفضل في كل الأحوال أن تراجع الطبيب.. لربما صرف لك بعض المهدئات..

الكاتب:

أمثالك لا يمكن لهم فهم ما نقوم به.. برغم أنك معجب بخطيب ابنتك، معجب بما يفعله، بمقولاته، وأحيانا بعجرفته، لأنه ينفس عنك! يقوم بما لا تجرؤ أنت القيام به، والأهم من كل ذلك: يملك هو الجرأة على أن يعبر عن رأيه بكل صراحة، وأن ينتقد ما يدور حوله، حتى لو كان في ذلك هلاكه!

صاحب المقهى:

وما أدراك بخطيب ابنتي؟ هل تعرفه؟

الكاتب:

أنا أعرف كل من في هذه المدينة، أعرفك أنت، أعرف ابنتك.. أعرف ما يدور.. لأنني بالمختصر أنا من وضع هذه المسرحية!

صاحب المقهى:

عدت لخرافاتك القديمة! اسمع.. أنا أريد أن أغلق مقاهي.. أريد العودة إلى البيت.. ستمر ابنتي وخطيبها بعد قليل وسنذهب، ولذلك أريد أن أغلق المقهى.. الآن..

الكاتب:

هذا جيد.. سأذهب معكم!

(في هذه اللحظة بالذات يدخل الشرطي)

الشرطي:

لا.. إنك لن تذهب إلى أي مكان.. هيا قف بهدوء وسلم نفسك أيها المجنون..

الكاتب:

ماذا؟

صاحب المقهى:

يبدو أنني فعلا سأغلق مقهاي الآن.. هذا جيد

الشرطي:

هيا.. هيا.. لا داعي للمقاومة.. وإلا فإنك ستجد نفسك كما فعلنا بصديق لك.. أيضا لا داعي للقلق.. سنعيدك من حيث جئت.. هيا، بكل هدوء، لن نؤذيك مطلقا..

الكاتب:

ما هذا؟ ماذا تريد أنت مني؟

صاحب المقهى:

إنه لا يريد شيئا سوى صالحك..

الشرطي:

قلت لك هيا الآن، ولا تضطرني لفعل ما لا أريد.. إنني شرطي محترف..

الكاتب:

ولكن.. هذا لم يكن في النص!! أنت ماذا تريد؟

صاحب المقهى:

لابد أنك مجرم هارب، ولذا يبدو واضحا أنه يريد أن يعيدك إلى الحبس!

الكاتب:

أنا؟

الشرطي:

هيا يا حبيبي، هيا يا قرة عيني.. إنهم ينتظرونك في البيت!

صاحب المقهى (لنفسه):

لابد أن هذا الشرطي مجنون هو الآخر..

الكاتب:

ولكن ما جريمتي؟ إنني لم أرتكب شيئا!

الشرطي:

هيا، هيا..

الراوي:

فيما يشهر الشرطي مسدسه، يكون صاحب المقهى على أتم استعداد لفعل مباغت للكاتب، الذي يبدو عليه الاستغراب والمفاجأة، ولكن الغريب أنه لم يقاوم.. بل بعد برهة نهض وأغمض عينيه، فيما الشرطي أمسكه

الشرطي:

آمل ألا يكون قد أقلقك وجود هذا المجنون في محلك..

صاحب المقهى:

أنا؟ لا لم يفعل.. لقد كان هادئا.. لكنه فعلا مجنون!

الشرطي:

لا داعي للقلق بعد الآن.. سنعيده إلى المستشفى..

صاحب المقهى:

المستشفى؟

الشرطي:

نعم.. إنه رجل مجنون.. ألم تسمع بقصة هروب المجانين الخمسة من المستشفى هذا الصباح؟ ربما قرأت عنهم في جرائد الغد

صاحب المقهى:

أهاه.. لقد كنت متأكدا من جنونه..

الشرطي:

لا عليك الآن.. بإذنك.. هيا يا أيها الشقي.. لقد أقلقت أمك!

(ينصرفان فيما يبدو الكاتب هادئا ومستكينا)

صاحب المقهى:

جيد أنه لم يقم بأي شيء سيء.. هذا حسن..

(تدخل الابنة وخطيبها)

الخطيبة:

مرحبا يا والدي العزيز.. آمل ألا نكون قد تأخرنا عليك..

صاحب المقهى:

لا لم تفعلا.. مطلقا..

الممثل:

ماذا كان يفعل ذلك الشرطي الغبي؟

صاحب المقهى:

رأيته؟ لا شيء.. كان يبحث عن مجنون، وقد وجده هنا

الخطيبة:

المجنون العاري كان في محلك؟

صاحب المقهى:

لم يكن عاريا.. هذا كلام مبالغ فيه.. كان عاديا

الخطيبة:

ولكن الشرطي قال بأنه مجنون عارٍ؟

الممثل:

أهذا صلب القضية بالنسبة لك؟ إنهم الآن لابد قد أمسكوا بالشخص الخاطئ.. هذا الشرطي الأحمق!

صاحب المقهى:

لا لا يا بني.. إنني أخالفك الرأي هذه المرة.. إنهم قد أمسكوا برجل مجنون فعلا

الخطيبة:

ولكنه ليس عاريا يا أبي، والشرطي قال بأنه مجنون عارٍ

الممثل:

من الأفضل أن تلوذي بالصمت، فأنت على ما يبدو لا تفهمين شيئا

الخطيبة:

ماذا؟ أنا لا أفهم؟

صاحب المقهى:

لا يا بنيتي.. إنه لا يقصد المعنى بحرفيته.. إنه يقصد.....

الممثل:

بل أقصد يا أباها.. إنها تتمسك بالأمور الصغيرة، ولا تهتم بالقضية المهمة..

الخطيبة:

أنا؟

صاحب المقهى:

لا يا ابنتي.. إنه لا يقصد ما قال.. وأنت لا تزد الأمور تعقيدا..

الخطيبة:

إنها ليست أخطاؤك أنت.. بل أخطائي.. بأني رضيت بواحد مثلك.. ليت الشرطي قبض عليك وليس على ذلك المجنون.. فأنت من يستحق الذهاب للسجن وليس هو.. يا صاحب القضايا الكبرى..

الممثل:

أرأيت؟ إنها لا تعرف أن المجانين يذهبون إلى المصحات الخاصة، وليس إلى السجون....

صاحب المقهى:

لا تلق بالا لهذا الكلام، وكن عاقلا..

الخطيبة:

ماذا يعني كلامك هذا يا أبي؟ أتوافقه على غبائه؟ حسنا.. سأترككما كي تناقشا في القضايا الخاصة التي لا أفهم فيها.. ولكن أرجو أن تحضرا العشاء لأنكما لن تأكلا الليلة من يدي.. بإذنكما..

(تنصرف)

الممثل:

هذا جيد.. مكانك الطبيعي هو المطبخ.. فأنت على ما يبدو لا تعرفين

سوى الأكل والطعام

الخطيبة (من الخارج):

ستندم على كلامك هذا في يوم ما أيها العبقري

صاحب المقهى:

لقد بالغت.. ابنتي تفهم وتعي وعقلها يزن هذه المدينة بمن فيها.. يبدو أنك أكلت شيئا جعلك تنحدر إلى هذا المستوى من الكلام!

الممثل:

وما علاقة الطعام بالتفكير؟ يبدو أن الجميع مصاب بالتأخر في التفكير..

صاحب المقهى:

بل أنت الذي أصبت في رأسك.. أيها الغبي: ألا تعي أن الأكل له فوائده الجمة على الذهن وطريقة التفكير؟ أنتم لا تعرفون سوى النقد والكلام الزائد، وما هو في فائدتكم لا تنتبهون إليه.. هذه نقطة ضعفكم الكبرى

الممثل:

حسنا.. أسحب كلامي..

صاحب المقهى:

اسحبه أو لا تسحبه.. لا يهمني.. سيأتي الشرطي يوما ويحملك إلى السجون وساعتها ستتمنى لو أنك ذهبت إلى المصحة التي سيلقون فيها ذلك المجنون

الممثل:

وما أدراك أنه مجنون؟

صاحب المقهى:

هه.. يقول بأنه كاتب، وبأننا أبطاله في مسرحية يراها الناس الآن.. أليس هذا هو الجنون بعينه؟

الممثل:

ماذا قلت؟

صاحب المقهى:

يدعي بأننا أبطال مسرحيته التي لا يدري أين فقدها، وبأننا شخصيات رسمها على الورق! هل يقول عاقل مثل هذا الكلام؟ أنت تكتب، ولكن هل يدخل لعقلك مثل هذا الحديث الغبي؟ إنه مجنون وابن مجانين، وإلا ما قال كما قال!

الممثل:

بل إنه بريء، وأنا متأكد من ذلك

صاحب المقهى:

بريء هاه؟! حسنا.. ابنتي معها كل الحق، فأنت بت أجن من ذلك المجنون.. بإذنك.. وإن كنت ستأتي فأرجو أن تمر على أحد مطاعم شيخ التجار، وهات معك العشاء..

(ينصرف)

الممثل:

يا ويحي.. هذه المسرحية لن تنتهي على خير! كيف سأخرجه من هذا المأزق؟ وكيف سيكتب هذه المسرحية التي يئست منها؟ لكنه يستحق هذا الأمر.. لقد سمعتموه بأنفسكم كيف أنه كان يريد أن يعرف ماذا حدث بعد ذلك؟ هذا الذي حدث: أن أمسكوا به! أبطاله وشخصياته أمسكت به واتهمته بالجنون.. يا له من مسكين.. سيعرف الآن لماذا اختفى النص من ذهنه! سيعرف من كان السبب.. إنه الغباء، الغباء الذي يمتلئ به رأسه!

ولكن مهلاً.. ماذا سيحدث الآن؟ ماذا سيصيبني؟ ما دام هو في قبضة من لا يرحم فإنني لابد مصاب بشيء من ذلك! أنا غبي، وإلا لماذا أورط نفسي في مثل هذه القضايا؟ آآآه، ليتني لم أتبعه، ليتني لم أتبعه!

صمت ثم تتلاشى الإضاءة

سابعا: ما حدث بعد ذلك!

(مركز الشرطة حيث الحبس والقضبان والتحقيق..

الفضاء المسرحي هذه المرة سينقسم إلى جزأين، أحدهما زنزانة الكاتب، والآخر ما تدور فيه الأحداث المتتابعة، وهو جزء متحول متغير، فيما الجزء الأول، أو الزنزانة فإنه سيظل على حاله دون تغيير ليعبر عن الحالة التي يوجد فيها الكاتب

الكاتب وهو في حالة تأمل من خلف القضبان ـ يمكن أن تكون هذه القضبان وهمية، وما ترونه الآن هو قضبان ضوئية مستحدثه من خيال المخرج ـ يدور حول نفسه متفكرا فيما يحدث)

الراوي:

حسنا..

أعترف لكم بأن الأمر ليس بتلك السهولة، ليس سهلا أن تعيد بناء نص لا تعرف عنه أي شيء، ولذلك فإنني سأفترض المشاهد المقبلة وسأرى ماذا سيفعل الكاتب في أزمته غير المتوقعة، وها أنتم ترونه الآن قاعدا خلف قضبان آمر الشرطة، في انتظار أن يأتيه أحدهم، ولعلهم سيحضرون الطبيبة التي من المحتم أنها ستنكر معرفتها به، كونها تعرف المجنون الحقيقي تمام المعرفة..

إذن، دعونا نتابع ما سيحدث!

الكاتب:

كيف حدث هذا؟ هل يمكن أن يكون هو الأحداث الجديدة التي لا

أعرف عنها شيئا؟ ماذا سيكون الآن مصيري وأنا في هذه الزنزانة؟ ألا يعرفون أني أنا الرجل المهم في كل هذه الحكاية؟ وكيف لهم أن يعرفوا شيئا كهذا؟ وهم الشخصيات التي ابتكرتها بنفسي؟ هم صنيعي أنا!

لكن إن كانوا كذلك، فلابد أن هذا الحبس غير حقيقي! ويمكنني أن أخرج، يمكنني أن أفر من أيديهم! (يحاول أن يجرب، ولكنه يفشل في كل الأحوال) إنه حقيقي، إنه حبس حقيقي، زنزانة لم أفكر فيها في يوم، حتى عندما كانوا يفكرون في ذلك، يفكرون أن يضعوني في مثل هذا المكان! لم يحدث أبدا أن جربته، فهل ابتكرت هذا النص من أجل أن أدخل حبسا في داخله؟ ماذا يمكن لي أن أفعل الآن؟

ثم ألن أكف عن طرح هذه التساؤلات الغبية؟ لقد أصبحت الآن أسيرا، وفي أحسن الأحوال على ما يبدو سيحولونني إلى المصحة، حيث المجانين والهبل والمصابين بالانفصام.. ماذا جنيت على نفسي يا الله كي يحدث لي ما يحدث الآن؟

الجزء الآخر/ الآن مبنى الشرطة

(يدخل قائد الشرطة يتبعه الشرطي)

قائد الشرطة:

هذه المدينة ستقلص أيام حياتي! لا نكتفي من العاطلين والثرثارين حتى يأتينا المجانين! مدينة حمقاء أليس كذلك؟

الشرطي:

كما تشاء يا سيدي قائد الشرطة، ولكن المهم أنني استطعت كالعادة أن أطبق نظامك الأمني سيدي.. وها هو المجنون الآن في الزنزانة!

قائد الشرطة:

هل تصدق؟ إننا ننفق ميزانيات ضخمة لندربكم! لم تعد المدينة إلا مكانا قابلا للانفجار في أي لحظة، ولهذا ننفق المال من أجل إيجاد كوادر قادرة على مواجهة الأزمات.. ولم تخيب ظني حتى الآن

الشرطي:

نحن في خدمة المدينة وأهلها، وما تفعلونه من أجلنا شيء كبير يا سيدي قائد الشرطة.. لكن...

قائد الشرطة:

لكن؟ لكن ماذا يا أيها الشرطي؟

الشرطي:

لا شيء.. لا شيء!

قائد الشرطة:

أنت تعرفني عز المعرفة، وأنا لا أحب مثل هذه الأساليب الملتفة.. هيا قل ما لديك

الشرطي:

في الواقع....

قائد الشرطة:

وبرغم أننا ننفق كل هذا المال، لكن عقلك هذا لا يتطور.. هل ستقول ما تريد أم أضعك مكان هذا السجين؟

الشرطي:

سأقول، سأقول.. في الواقع....

قائد الشرطة:

تقوقعت في جراب مسدسك أيها الأحمق.. ماذا هناك؟

الشرطي:

أنت تعلم يا سيدي ما نعانيه كل يوم في خدمة المدينة ومواطنيها، وتعلم ما نلاقيه من مصاعب في هذه الخدمة، وبالطبع فإننا فخورون دائما بأننا نحن من تم اختيارهم لتأدية واجبات الأمن في مدينتنا، ولكن...

قائد الشرطة:

ولكن ماذا يا هذا؟ هل توانينا عن تطويركم؟ هل قصرنا عليكم في شيء؟ قل ما لديك

الشرطي:

الحقيقة أنكم لم تقصروا مطلقا، وأنتم دائما تبذلون الغالي والنفيس من أجلنا.. لكنني يا سيدي لم أخرج في إجازة منذ عامين، وعملنا مرهق كما تعرف، و....

قائد الشرطة:

وأنت تريد إجازة أليس كذلك؟ لكنك تعلم أن الوضع حاليا لا يسمح لأحد بأي إجازة.. إننا في حالة استنفار دائمة، وأنا لا أستغني عن الكفاءات أمثالك..

الشرطي:

هذا من طيب أصلكم سيدي، ولكن المسألة ليست إجازة وفقط.. إنني....

قائد الشرطة:

إنك ماذا؟

الشرطي:

في الحقيقة لدي زوجة مريضة، وتحتاج للعلاج، وقد قال الأطباء أن علاجها في الخارج أنسب، وهو يكلف في كل الأحوال، ولابد أن أكون معها

قائد الشرطة:

غريب.. لم تقل لي من قبل إنك تزوجت! وتقول لي الآن أن زوجتك مريضة؟

الشرطي:

لقد علمتنا يا سيدي أن مثل هذه الأمور ليست ذات أهمية، حتى إني لم أقض شهر عسل معها، وكل العسل أخذته في خدمة المدينة

قائد الشرطة:

ما شاء الله عليك.. إنك كفاءة تستحق الإشادة.. لكن قل لي: ما بها زوجتك؟

الشرطي:

إنها حالة غريبة، وقد يئس الأطباء لدينا في إيجاد حل لها، وقالوا بأن السفر والعلاج في الخارج هو الحل الوحيد

قائد الشرطة:

طيب، طيب.. سأعطيك الإجازة التي تريد

الشرطي:

جزاك الله ألف خير يا سيدي قائد الشرطة، وإني لأتعشم أن تمد معروفك أكثر

قائد الشرطة:

ماذا تقصد؟

الشرطي:

إن السفر يا سيدي يحتاج إلى مال، وأنت خير العارفين بأحوال أفراد الشرطة، فرواتبهم لا تكفي لمثل هذه المهمات

قائد الشرطة:

برغم أنك دائما ما تأخذ، لكننا من أجل زوجتك ومن أجل تفانيك هذا سآمر بتكفل القيادة إرسالك وزوجتك إلى رحلة العلاج هذه

الشرطي:

أبقاكم الله ذخرا لنا يا سيدي

قائد الشرطة:

المهم أن تواصل بذلك من أجل خدمة المدينة وأهلها، فأنت تعلم أن الظروف الحالية ليست جيدة...

الشرطي:

نحن في خدمة المدينة وأهلها دوما يا سيدي قائد الشرطة

قائد الشرطة:

أحسنت.. لكن لم تخبرني ما حالة زوجتك؟

الشرطي:

إنها أسوأ من هذا المجنون يا سيدي، دائما ما تصرخ في الليل وتقول: أريد السحاب، وإلا ألقيت بنفسي في مزراب.. ثم تبدأ في الرقص والضحك، وبعدها تقذفني بأي شيء تطاله يدها.. لكنها طبعا ليست مجنونة أو موسومة.. إنها مصابة بحالة لم يعرفها أي طبيب، وقال أحدهم إنه فيروس لا يصيب إلا النساء اللائي يعمل أزواجهن في مجالات عنيفة وخطيرة، وقد فهمت أنني جزء من المرض، فأنا كلما اقتربت منها فعلت فعلتها، وخاصة عندما ننتهي مما تعرفه يا سيدي...

قائد الشرطة:

ههههه يبدو أنك لا تترك لها أي فرصة..

الشرطي:

هذا الأمر أتعبنا نحن الاثنين، وخاصة أننا لم نأخذ وقتا طويلا بعد الزواج للراحة، ولهذا قد نصحني آخر من زرتهم من الأطباء بأن علاجها في الخارج، ولابد أن أكون معها بطبيعة الحال!

قائد الشرطة:

ما من مشكلة.. اذهب وعالجها وكل شيء سنوفره لك..

الشرطي:

دمت لنا يا سيدي قائد الشرطة..

قائد الشرطة:

والآن، أخبرني.. هل هذا هو المجنون؟

الشرطي:

هو بعينه سيدي

قائد الشرطة:

ولم أتيت به إلى هنا؟ أليس من الأجدى أن تذهب به إلى المصحة؟

الشرطي:

كان ينبغي أن أفعل هذا ولكنهم في المصحة قالوا بأن الوقت تأخر وبأنهم باتوا يغلقون المصحة ليلا، ومن الأفضل أن أتحفظ عليه في المركز، ويفترض اليوم صباحا تأتي الطبيبة لمعاينته ومن ثم تأمر بحمله إلى المصحة حيث كان

قائد الشرطة:

وأين هي هذا الطبيبة؟

الشرطي:

إنها تنتظر منذ ما يقارب الساعة في الخارج.. وقد قلت بأنه من الأنسب أن تقابلك أولا..

قائد الشرطة:

ماذا؟ منذ ساعة وهي تنتظر؟ هيا، اذهب ودعها تدخل..

الشرطي:

أمرك سيدي

(ينصرف)

(صمت)

الكاتب:

الآن ستدخل هذه الطبيبة وستعرف أني لست المجنون الذي فر من مصحتها.. وإن كانت طبيبة مهنية ستطالبهم بعودة البحث عن مجنونها والإفراج عني، فأنا لست مجنونا مطلقا.. هذا ما سيحدث الآن، وهذا ما كنت قد نسيته.. أخيرا سيبدأ النص في الاكتمال وسأعرف بقية التفاصيل.. لتسجلوا عني هذه التفاصيل المهمة، فأنتم كما ترون أني لا أحمل أوراقا ولا أقلاما.. أرجوكم أيها الجمهور العزيز لتساندوني في هذه المهمة كي أصل إلى النص الذي سيمتعكم بكل تأكيد في النهاية!

الراوي:

يدخل الشرطي ومعه الطبيبة التي سنعرف أنها-يمكن أن تكون الحبيبة نظرا لقلة الممثلات في هذه المرحلة، ولأن الكاتب لم يرسم فعليا إطارا واضحا لهذه الشخصية التي برزت الآن

الشرطي:

ها هي الطبيبة يا سيدي قائد الشرطة

قائد الشرطة:

اعذرينا يا دكتورة.. هذه الأيام صعبة، ولذلك على الجميع أن ينتظر

الطبيبة:

لا بأس، لم يحدث شيء، وقد استغللت الوقت بالخارج لأقرأ الجريدة اليومية

قائد الشرطة:

الجريدة!

الطبيبة:

نعم وجدتها بالخارج.. يبدو أنك مستعدون لحالات الانتظار الطويلة فقمتم بتزويد المكان بالصحف والمجلات

قائد الشرطة:

غريبة.. الجريدة عادة تأتي بعد الساعة الواحدة ظهرا.. إنهم مبكرون هذه المرة.. لكن ألا ينبغي أن تصل الجريدة إلى مكتبي أولا يا شرطي؟

الشرطي:

إنها لم تصل يا سيدي.. فصحفنا لم تزل مواظبة على مواعيدها بالضبط.. ربما كانت جريدة الأمس، و... قد تذكرت.. تلك الجريدة التي كانت بالخارج هي جريدة الأسبوع قبل الماضي.. عندما انتهيت منها أخذتها لأقرأها ولكنني لم أجد وقتا، فتركتها في غرفة الانتظار وقلت قد أعود لأقرأها لاحقا، لكنني انشغلت..

قائد الشرطة:

حسنا.. لا داعي لأن تسرد كل حياتك مع الجريدة! فهمنا..

الطبيبة:

هه ولكنني لم أشعر أنها قديمة! كانت أخبارها ومقالاتها تبدو جديدة بالنسبة لي

قائد الشرطة:

هذه ميزة من مميزات الصحافة لدينا، إذ دائما تبدو الأخبار وكأنها وقعت للتو.. المهم..

الطبيبة:

نعم المهم.. أين هو هذا المجنون الفار؟

قائد الشرطة:

هذا هو مجنونك يا دكتورة!

(ملتفتة إليه فيما الكاتب يبتسم ببلاهة)

الشرطي:

لن تصدقي الجهد الهائل الذي كلفنا كي نصل إليه، ولكننا دائما ما نكون على أتم الاستعداد ونصل إلى حل القضايا بسرعة.. وها هو المجنون بين يديك الآن أيتها الطبيبة..

قائد الشرطة:

ولتكوني حذرة في المرة المقبلة.. المجانين مثلهم مثل المجرمين لدينا: إن فر واحد منهم تصبح البلاد في أزمة.. ولا ينبغي مطلقا أن يكون هناك سجين فار، فهذا يهدد أمن بلادنا، كما أنه ينم على فوضى وعن ضعف في أداء عملنا، ونحن والحمد لله لا توجد لدينا مشاكل من هذا النوع

الطبيبة:

هه.. هل تسخران مني؟

قائد الشرطة:

ماذا؟

الطبيبة:

هذا ليس هو المجنون.. أنتم لم تعثروا على المجنون الفار بعد

الشرطي:

ويلي!!

قائد الشرطة:

أعيدي الكلام مجددا أيتها الطبيبة.. ماذا قلت؟ إنه ليس هو المجنون المطلوب؟!

الطبيبة:

نعم.. إنه ليس هو المجنون المطلوب، بل إنه لا يشبه واحدا من المجانين الذين يوجدون في المصحة.. صحيح أنه غير مرتب ولكن هيئته لا توحي بأنه مجنون..

قائد الشرطة:

أي كلام هذا الذي تقولينه؟ أليس مجنونك؟

الطبيبة:

لا، ليس هو المجنون، ولا تقل لي إنه مجنونك! بل هو مجنون المصحة، والمصحة هي المكان الذي أعمل فيه ولست صاحبة الملك فيها!

الشرطي:

أرجوك يا دكتورة.. تمعني فيه جيدا.. لابد أن يكون هو، وربما أنت لم تنمي جيدا البارحة، ولذلك لم تعرفيه بعد.. هل أحضر لك كوب شاي بالنعناع كي تركزي؟

الطبيبة:

جلست ساعة كاملة بالخارج، ولم تقل لي ماذا أشرب أو أحتسي! وأنا لست ممن يسهرون الليل ولست متزوجة كي يقلقني وجود زوج جواري، وأنام ملء جفوني، وهذا كما أخبرتكما ليس هو المجنون الفار! ألا ترى بأنه نظيف؟ ثم هل سأغيب عن المجنون الذي فر من المصحة؟ وأنت بالتحديد ألم تصلك صور المجانين الخمسة الفارين؟ لماذا لم تعمموها على أفراد شرطتكم؟

قائد الشرطة:

الصور!! طبعا وصلتنا، و..

الطبيبة:

وماذا يا قائد الشرطة؟

قائد الشرطة:

في الواقع قلنا بأن المجانين من السهل أن نحصل عليهم، وخاصة العراة منهم.. فلم نرد أن نضيع الوقت والجهد والمال والمعدات في طبع نسخ من صورهم، وقررنا البحث عنهم بطرقنا.. إنه أمر سهل جدا

الطبيبة:

واضح جدا.. وهذا هو الدليل

قائد الشرطة (للشرطي):

أنت الذي جئت به.. ألم تقل بأنه مجنون؟ كيف عرفت بأنه المجنون المطلوب؟

الشرطي:

أقسم لك بأنهم جميعا قالوا بأنه هو.. فهو يدعي بأنه كاتب، وبأنهم شخصياته! وهذا الكلام لا يقوله سوى مجنون!

قائد الشرطة:

وهل كان عاريا؟

الشرطي:

في الواقع لا.. يبدو أنه سرق الملابس من مكان ما..

قائد الشرطة:

أيها الأحمق.. وتطلب إجازة هاه.. سنرى الآن كيف ستأخذ إجازتك، وكيف ستعالج زوجتك..

الشرطي:

ويلي، ويلي.. أرجوك أيتها الطبيبة.. دققي في وجهه.. لابد أنه هو، وأنت لا تتذكرينه جيدا.. أرجوك..

الطبيبة:

ليس كل الناس مغفلين لا يعرفون كيف يؤدون عملهم على أكمل وجه.. وهذا ليس هو المطلوب.. لقد أضعتم وقتي.. وإني سأكتب تقريرا وافيا حول هذا الأمر، وسأرسله إلى كافة المسؤولين كي يعلموا أي شرطة هي شرطة مدينتنا.. أيها المهملون!!

قائد الشرطة:

أهذا تهديد؟ هل تهددينا أيتها الطبيبة؟ ليكن في معلومك نحن لسنا من ذلك النوع الذي يخشى التقارير والأوراق المملوءة كلاما ضدنا.. وإن كان هناك من خطأ فهو خطأ المصحة قبلنا، وإني أؤكد لك بأني سأعمل على أن

يتم فصلكم جميعا..

الطبيبة:

سنرى أيها القائد الهمام.. إنك مذ أن أمسكت زمام أمور الشرطة في هذه المدينة، وحال مدينتنا يسوء ويسوء.. وقد طفح الكيل! وإني أقولها لك: سأعمد إلى كل الصحف وكل الكتاب كي يكتبوا عن هذه الفضيحة الكبيرة، وسنرى ماذا يمكن أن تفعل أيها القائد.. بإذنك....

(تنصرف)

قائد الشرطة:

فلتفعلي ما تشائين.. وأنت أيها الأحمق، ألم أدربك بنفسي؟ ألم أجعلك أفضل فرد وأفضل شرطي؟ كيف تخطئ مثل هذا الخطأ الفادح؟

الشرطي:

أقسم لك، لم أكن لأخطئ لولا أولئك الأغبياء الذين قالوا بأنه مجنون.. لقد أكدوا لي بأنه مجنون، حتى لو كان يرتدي الملابس النظيفة..

قائد الشرطة:

ومن هم هؤلاء؟

الشرطي:

إنهم بقال وبائع سمك سابق وصاحب مقهى صغير ولا يأتيه أحد يقع في أطراف المدينة

قائد الشرطة:

اذهب وأحضرهم أجمعين لدي..

الشرطي:

أمرك سيدي.. الآن أذهب

قائد الشرطة:

وإياك أن تأتي وأحدهم ليس معك! فيكبر عقابك!

الشرطي:

ويلي، ويلي

قائد الشرطة:

وهل رأيت الويل بعد؟ هيا أيها الأحمق.. اذهب ونفذ ما طلبت منك

(ينصرف)

(يخبو الضوء عن الجزء الذي يكون فيه قائد الشرطة والذي يجلس على كرسيه ويغفو قليلا، فيما يضاء الجزء الذي هو زنزانة الكاتب)

الكاتب:

أخ... يبدو أن الأمور تعقدت.. ولا أمل لي الآن في الخروج من هذا المكان! لم يكن هذا ما توقعته.. ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ وهل بيدي أن أفعل شيئا؟ بالطبع! بيدي! أنا الكاتب الذي كتب كل هذا ألا أستطيع فعل

شيء؟ لا لا أستطيع فعل شيء وأنا خلف القضبان! آآآآه يا حظي السيء!

صمت ثم تتلاشى الإضاءة..

ثامنا: من أدب السجون!

(المنظر السابق وهذه المرة خلف القضبان البقال وصاحب المقهى إضافة إلى الكاتب)

الراوي:

المنظر هو المنظر، ولم يتغير شيء، إلا أن البقال وصاحب المقهى الآن برفقة الكاتب في الزنزانة، يعرفان أن جريمتهما المعتمدة هي أنهما قدما معلومات غير صحيحة، مع أنهما فعليا قالا ما كانا يؤمنان به، ولكن الشرطي لا يفهم هذا، وهو الآن ما يزال يبحث عن بائع السمك، الذي لم يجده معهما في المقهى، وعندما سألهما قالا له بأنهما لا يعرفان، والمشكلة أنه لم يكن في بيته، وليس له أقارب فهو مقطوع من شجرة كما يقولون، وربما تحققت نبوءة الكاتب فمن يدري، ربما الأحداث المقبلة تعتمد اعتمادا كليا على المدعو بائع السمك! المهم الآن ثلاثة في الزنزانة، وفي الخارج بنت صاحب المقهى وخطيبها يحاولان أن يفهما ما يحدث!

(الجزء القضبان)

البقال:

إما أنك مجنون أو أنك مجرم خطير، والأغلب الآن أنك مجرم هارب من أياديهم..

صاحب المقهى:

لا أحد مجنون سوانا أنا وأنت، وإلا لما تعاونا مع الشرطة! هذا ما جئنا به لأنفسنا..

البقال:

لقد حدث ما حدث لكن المشكلة ما سيحدث الآن، ما سيفعلونه بنا.. بالتأكيد أنهم سيستخدمون كل الوسائل المحرمة كي نتكلم، كي نقول ما يريدون.. لقد عرفت أنهم يخلعون الأظافر، ويمنعون عن المرء كل وسائل الراحة

صاحب المقهى:

راحة! هل تطمع في شيء من الراحة هنا؟ إنهم لن يدعونك تنام! ستظل واقفا لساعات طويلة، وإن لم تتكلم بعد سيوهمونك بالغرق! ذلك الأسلوب هو الأسوأ من بين أساليبهم

الكاتب:

ههه.. لا تخافا، لن يحدث كل هذا

البقال:

وما أدراك أنت؟

صاحب المقهى:

كل ما أخشاه أن تكون أحد عملائهم وبأنك جئت يومها كي ترصد ما نقول

الكاتب:

ههه..

البقال:

اضحك.. فأنت لن تعرض للأضواء الكاشفة، ولن تسلط عليك الهوام والحشرات والقوارض المؤذية

الكاتب:

أضحك لأنكما مسكينان!

صاحب المقهى:

لابد أنك أحد عملائهم

الكاتب:

أرأيتما؟! هذا دليل قطع على أنكما مسكينان كبيران.. لتعلما أنه لن يحدث لكما أي شيء سيء، فأنتما شخصيتان في مسرحيتي التي أعيد تجميع فصولها المختلفة.. ربما أكون فاقدا لبعض من أجزائها، ولكن ما أعرفه أني لا أكتب العنف! لذا لا تخافا.. لن يحدث لكما أي مكروه

صاحب المقهى:

ها أنت تعود لكلامك السابق

الكاتب:

أنا فعليا كاتب هذه المسرحية، وهناك من يتابع العرض الآن.. صدقاني!

البقال:

- أي جنون هذا؟ كيف نكون شخصياتك وأنت تتحدث معنا؟ ثم، ثم أين

هذا الجمهور الذي يتابع؟ إني لا أرى سوى القضبان

الكاتب:

ليس مهما هذا الآن، لكن لتعلما أن الأحداث المقبلة هي لصالح المدينة

صاحب المقهى:

قل لي: إن لم تكن مجنونا، ولا عميلا من عملائهم، ولا مجرما فارا، فمن تكون؟!

الكاتب:

كاتب هذه المسرحية

صاحب المقهى:

لا تعد لمقولاتك هذه

البقال:

دعه.. إنه يقول كلامه هذا ليظنوا أنه مجنون.. ولكنني أكاد أجزم أنك مجرم هارب

صاحب المقهى:

طيب.. لنقل إنك كاتب، وأننا شخصياتك، فما سيحدث بعد قليل؟

الكاتب:

لا أعرف!

البقال:

كما قلت لك: إنه يحاول أن يقنعنا بجنونه، وما هو بمجنون.. إنه مجرم، وإنهم سيأخذوننا بجريمته لأنه لا يكف عن القول بأنه كاتب وبأننا في مسرحية

صاحب المقهى:

سترى أيها المجرم المجنون بأنهم لا يمزحون.. هؤلاء القوم لا يعرفون سوى التعذيب، وستعترف بجريمتك قبل أن يفكروا في تعذيبنا

الكاتب:

أنا لست مجنونا ولا مجرما.. أنا كاتب هذه المسرحية، وصدقاني أنا أجهل ما حدث في بقية فصول المسرحية، ومجيئي إلى هنا هو لأعرف مآل مسرحيتي، وما حدث بعد ذلك!

الاثنان:

اووووه

الكاتب:

هذه الحقيقة، صدقتماها أو لم تصدقاها

(الجزء المكتتب)

(يدخل قائد الشرطة، ووراءه ابنة صاحب المقهى، وخطيبها، والشرطي)

قائد الشرطة:

اسمعا.. إن كنتما لا تريدان أن تكونا خلف القضبان فلتنصرفا.. إنني أحقق الآن في قضية مهمة، أمن البلاد يعتمد عليها

الممثل:

أي قضية وأي أمن؟ إنكم تسيئون استخدام السلطة

قائد الشرطة:

فتحفظ لسانك يا هذا..

الخطيبة:

طيب ما دخل أبي في القضايا المهمة؟ إنه مجرد صاحب مقهى لا أكثر، وهو رجل بسيط لا دخل له بالسياسة

قائد الشرطة:

الأمر لا يتعلق بالسياسة أو الاقتصاد، ولا أي تفاهات مما ينشرونه هذه الأيام في عقولكم، الأمر يتعلق بالكذب والإدعاء، وهذا هو مربط الفرس، ومربط الأخوة الذين في الزنزانة الآن.. إنهم يكذبون، وهذا لا معنى له سوى شيء واحد فقط

الممثل:

وما هو هذا الشيء الواحد فقط؟

قائد الشرطة:

حسنا.. الكذب يعني إخفاء حقيقة، وإخفاء الحقائق يعني التستر على

جريمة ما، بمعنى أنهم ينظمون أمرا جلل!

الممثل:

يا سلام.. ما هذه الفصاحة التي يتشدق بها لسانك يا قائد الشرطة؟ الحمد لله، قائد شرطة مدينتنا بات رجلا فصيحا

الشرطي:

إنه كذلك منذ زمن يا محترم، فنحن رجال الشرطة نمارس الفصاحة منذ الوهلة الأولى لانخراطنا في سلك الشرطة، وقائدنا قائد الشرطة، دائما ما يوصينا بالقراءة ومتابعة الأحداث الثقافية، فهي تنمي الروح وتعزز إمكانيات الفرد

قائد الشرطة:

يبدو أنك صاحب لسان طويل يا هذا، ويبدو أنك أيضا تعرف شيئا ما.. فإن كان في جعبتك كلام مهم فلتقله

الممثل:

ما لدي سأقوله على الملأ، وسأنشر فضائحكم وانتهاكاتكم.. وسترى بنفسك أيها الشرطي

قائد الشرطة:

أنا قائد الشرطة يا هذا، ويبدو أنك لا تحترم أحدا..

الخطيبة:

لا عليك منه يا سيدي قائد الشرطة.. إنه منفعل قليلا من أجل أبي.. الذي ليس له علاقة بأحد.. إنه مسكين يا سيدي مسكين!

الممثل:

اسمع يا من تسمي نفسك بقائد الشرطة، إما أن تفرج عن سجنائنا وإما...

قائد الشرطة:

وإما ماذا أيها الزعيم؟ يبدو أنك لا تفهم مطلقا.. ويبدو أن صبري انتهى الآن.. أيها الشرطي، أمسك هذا المغفل وألقي به بينهم

الخطيبة:

ويلي يا ويلي

الشرطي:

وللي قدر ما لديك.. أنا أعرف ما سيحدث الآن

الممثل:

بأي تهمة ستلقي بي في الحبس؟ ألا يكفي ما تفعله بأهل مدينتك؟ تلقي التهم جزافا وبلا أي دليل؟ بأي تهمة قل لي؟

قائد الشرطة:

يا أخي بلا أي تهم، هكذا مزاج! يعجبني أن أراك في الحبس! مثلك مثل الأغبياء الآخرين.. هيا يا شرطي.. اذهب به للحبس مع الآخرين

الشرطي:

أمرك سيدي

(يتم اقتياد الممثل)

الخطيبة:

ويلي مما يحدث لي.. يا سيدي، إنك تقهر امرأة لا ظل لها سوى أبيها وخطيبها المجنون الذي أمرت بحبسه.. فهل أستحق أنا كل هذا؟

قائد الشرطة:

إنك لا تفهمين يا ابنتي.. أبوك متهم في قضية كبرى، إنها مسألة أمن بلد.. أما خطيبك الأحمق هذا فإني أؤدبه فقط، لا أكثر ولا أقل.. اذهبي الآن إلى بيتك وكل الأمور ستؤول إلى خير

الخطيبة (تبكي)

قائد الشرطة:

هيا، هيا.. لا نريد ميلودراما هنا.. هيا انصرفي

(تنصرف)

قائد الشرطة:

والآن أيها الذكي، هل جئت بالمطلوبين؟

الشرطي:

في الحقيقة والواقع

قائد الشرطة:

ماذا هناك أيها الشرطي الذكي؟

الشرطي:

بائع السمك لم نجده حتى الآن، ويبدو أن لا أثر له، وقد فتشنا كل مكان محتمل له، وسألنا كل من قد يكون يعرفه، وهم بالمناسبة لا أحد فعلي سوى بعض الجيران الذين أفادوا أنه منذ ليلتين لم يعد إلى بيته

قائد الشرطة:

أي منذ أن جئت بهذا المجنون

الشرطي:

أعتقد ذلك

قائد الشرطة:

ما شاء الله! إنك شرطي ملتزم بالأوامر!

الشرطي:

شكرا لك سيدي، هذا إطراء لا أستحقه!

قائد الشرطة:

بالطبع أنت لا تستحق أي إطراء! ألم أقل لك لا تعد إلا والثلاثة معك؟ ألم تقل لي بأنه ثالثهم الذي كان يقول لك مع الآخرين بأن هذا الرجل مجنون؟ أين هو إذن؟ أم أن مسيرة الفشل لديك آخذة في التنامي؟

الشرطي:

لا يا سيدي، لا.. كل ما في الأمر أني أحضرت اثنين والثالث سنعثر عليه قريبا

قائد الشرطة:

كما عثرت على المجنون العاري؟

الشرطي:

سنجده يا سيدي قائد الشرطة، فأنت سيد العارفين بأن رجالك رجال أشاوس ولابد لهم أن يطبقوا الأوامر ويجدوا كل مجرم فار.. أنت من عودتنا على ذلك!

قائد الشرطة:

حسنا.. فرصتك الأخيرة ستنتهي صباح الغد، وبعدها....

الشرطي:

ليس هناك من بعد يا سيدي.. بكل تأكيد سنجده، وسأرمي به مع الآخرين، وسنتعرف على مكيدتهم، ومخططاتهم التدميرية!

قائد الشرطة:

سنرى ذلك، سنرى

(الجزء الزنزانة)

الممثل:

لابد أنهم أساءوا إليك كثيرا

الكاتب:

لا تقلق.. إنهم مأخوذون الآن بما هو أهم

الممثل:

وما هو؟

الكاتب:

على ما يبدو أنني ابتكرت مؤامرة في النص، وهم الآن يبحثون عنها.. يبدو أنني كتبت أحداثا معقدة

الممثل:

من ناحية أنها معقدة، فتأكد بأنها أكثر تعقيدا من أي عقدة قد تكون رأيتها في حياتك

البقال:

هييه، أنتما.. منذ أن جئت يا وجه المصائب، وأنت تتهامس مع هذا المجرم الفار.. اسمع يا حماه، وانظر.. هذا الصهر الذي صاهرتَ شريك ذلك المجرم!

صاحب المقهى:

ومن أين له أن يعرفه؟ إنها المرة الأولى التي يلتقيان فيها!

البقال:

واضح، واضح جدا.. ألا ترى تهامسهما؟ إنه شريكه كما أقول لك!

الكاتب:

يا رجل.. لقد تداخلت الأمور في رأسك.. صدقني أنا لست مجرما!

الممثل:

إنه ليس مجرما ولا مجنونا.. إنه كاتب!

صاحب المقهى:

ماذا؟ هل صدقت مثل هذه الهلوسات؟ أي كلام هذا؟

الممثل:

إنه كاتب، صدقاني، ونحن الشخصيات! وهناك جمهور يرانا الآن ويتابع تمثيلنا!

البقال:

أنت هو المجنون الذي يبحثون عنه، هذا مؤكد! هل يدخل مثل هذا الكلام عقل أحد؟

الكاتب:

طبيعي أنكما لن تفهما شيئا، ولن تصدقا.. المستوى العقلي لديكما ليس ناضجا كفاية.. وهذا خطئي منذ الأساس.. كان ينبغي ألا أضعكما في مثل وضعكما الحالي

صاحب المقهى:

بالله.. لم أعد أستوعب شيئا.. ما يحدث أمامي هو الجنون بعينه، وأنت يا زوج ابنتي المستقبلي، متى تعرفت إلى هذا المجنون المجرم الفار؟ أم أنك صاحبه منذ البداية؟

البقال:

أنا بت متأكدا الآن أن صهرك ما هو إلا واحد من هؤلاء الأفاقين الذين يدعون مصالح الناس ويدافعون عن المدينة وهم أول الفاسدين!

صاحب المقهى:

ويل لهذه المدينة! ألا يكفينا ما حل بنا من عذاب وقحط وسوء أحوال؟ ألا يكفينا كل هذا الفساد؟ ألا يكفينا بيئة فاسدة، وشوارع ضائعة، وشباب عاطلون عن العمل؟ كي نسقط في هذا الجنون، وهذا العبث؟! إنها لمهزلة كبرى

الكاتب:

لا تقلق.. ستحل الأمور عما قريب..

الممثل:

هل أنت متأكد من هذا؟ أنا أيضا بدأ ينتابني اليأس والقنوط! لقد بت الآن خلف القضبان، وكان بإمكاني أن أبتعد عن كل هذه القضية

البقال:

طبعا.. فأنت الواعي المتعلم الفاهم الذي يمكنه أن يصل إلى مكتب شيخ

التجار، ويصبح واحدا من المتنفذين في مدينة لا أحد يعلم إلى أين تودي بها أحاولها الحالية سوى الله

الكاتب:

لا تخافا ولا تجزعا.. جميعا لا تخافوا ولا تجزعوا.. سأخلصكم قريبا من هذا العذاب

صمت ثم تتلاشى الإضاءة..

تاسعا: المؤامرة!

(تتحول المنصة إلى غرفة للتحقيق)

الراوي:

العذاب الفعلي هو أني بدأت أتعب وأنا أبحث عن بقايا هذا النص كي أرممه! ما الذي سيحدث بعد قليل؟ ما مصير المدينة في ظل أوضاع كهذا؟ ما مصير هؤلاء المساكين الذين تم القبض عليهم بلا أي تهمة؟ وكيف سنعرف ما حدث بعد ذلك؟ أسئلة كثيرة ولا أجد إجابة..

المهم، الآن سيتم التحقيق، ولذا سنعود إلى المنظر الذي بدأت به فصول المسرحية.. المنصة عبارة عن مكتب تحقيق كبير، وثمة كرسي شديد الوطأة على المساكين الذين سيتم التحقيق معهم.. سنرى ما يحدث وربما اهتديت معكم إلى الأحداث المتبقية..

(قائد الشرطة مع المساجين الأربعة)

قائد الشرطة:

والآن أخبراني أنتما الاثنان: ما الخطة التي وضعتماها مع هذا المجرم، وصاحبكما الثالث للقيام بالثورة في المدينة؟ لا تقولا لي كما قال العاطلون، بأنهم لا ينتوون فعل أي شيء وهم يخططون من على منابر المساجد القيام بمؤامرة تضيع هذه المدينة وتلقي بها في دهاليز الضياع.. هيا أخبراني

البقال:

أي مؤامرة وأي خطة؟

صاحب المقهى:

تأكد يا سيدنا قائد الشرطة بأننا لا نعرف أي شيء مما تقوله، ونحن أناس لا علاقة لنا بأي مؤامرات ولا خطط.. إننا بالكاد نستطيع تأمين قوت يومنا..

البقال:

ثم هل مظاهرنا توحي بأننا نكيد للمدينة؟ إننا لا نمتلك شيئا كي نعيش فكيف بمصاريف الثورات والمكائد والمخططات؟ إنك سيد الفاهمين.. كيف لكلبين وضيعين مثلنا يخططان؟ هاه، أخبرني

قائد الشرطة:

إياك والتذاكي يا هذا.. أنتم شر بلاء في هذه المدينة، وينبغي قطع دابركم منها ورميكم للكلاب..

صاحب المقهى:

نحن فعلا كلاب يا سيدي، كلاب تحتاج لعطف رجل مثلك، يحسن الرفق بالحيوان

قائد الشرطة:

هذا الكلام لا يجدي.. إما أن تعترفا وإما فإننا سنتصرف تصرفا آخر معكما..

البقال:

ويلي.. لا تقل بأنك ستوهمنا بالغرق، أو تسلط علينا الإضاءة الشديدة ولا تدعنا ننام!

قائد الشرطة:

هه.. يبدو أنك ضليع، ولكن اطمئن.. في حال أنكم قلتم ما نريد، فإنكم لن تجدا إلا الحب والسلام والود معنا..

صاحب المقهى:

بالله عليك يا سيدنا قائد الشرطة، نحن لا نحتاج لا ودا ولا سلاما ولا حبا! نريد فقط أن نعود إلى بيوتنا، وأعمالنا.. لا أكثر!

قائد الشرطة:

طيب.. ما دمت تريد الذهاب إلى بيتك، وعملك، أخبرني بما أريد.. ما هو المخطط؟

صاحب المقهى:

والله لا نعرف عن أي شيء تتحدث! إننا لا نملك أي مخططات

البقال:

ولا لدينا أي نوايا سيئة تجاه المدينة

صاحب المقهى:

إنها مدينتنا فكيف نفكر في خرابها؟

البقال:

إننا لسنا من تبحث عنهم يا سيدنا.. عليك بهذا المجرم.. فلتسأله هو

قائد الشرطة:

اطمئن.. سيأتي الدور عليه..

صاحب المقهى:

إن لم يكن هو المجنون الذي تبحثون عنه، فإنه هو المجرم الذي بكل تأكيد يخطط ويعد عدد المؤامرات، والثورات.. اسأله وستجد أنه كذلك!

قائد الشرطة:

اهاه.. هذا جيد.. هذا يعني أنكما تعرفانه جيدا

البقال:

لا نعرفه ولم نره إلا في ذلك اليوم المشؤوم

صاحب المقهى:

نعم إنه يوم مشؤوم! يوم قال بأنه كاتب وبأننا شخوصه التي يحركها كيفما شاء!

قائد الشرطة:

ماذا؟

البقال:

إنه يقول بأننا شخصيات مسرحية يراها الجمهور الآن، وبالطبع أنت واحد من تلك الشخصيات التي رسمها..

قائد الشرطة:

اسمعا.. هذا الجنون لن يمشي علي أنا..

صاحب المقهى:

أنت قلت بنفسك جنوون.. وهذا ما قلناه للشرطي عندما جاء.. هل يعقل أن يقول أحدهم بأنه كاتب وبأننا شخصياته وبأن هذه مسرحية، ولا نقول بأنه مجنون؟ إنه مجنون تمام الجنون

البقال:

أو مجرم محترف

قائد الشرطة:

وأنتما اثنان من الشركاء الكثر!

صاحب المقهى:

عدنا مجددا..

البقال:

يا سيدنا يا قائد الشرطة....

قائد الشرطة:

هاه.. هل تريد أن تقول بأنه شريكك؟ ما المخطط؟

البقال:

لا شيء، لا شيء.. أنا لن أتكلم، ولتفعل ما تشاء.. لتغرقني حتى! ما عاد الأمر مهما..

قائد الشرطة:

حسنا كما تريد.. وأنت.. ألن تتكلم أيضا؟

صاحب المقهى:

أتكلم أقول ماذا؟ إنني لا أعرف شيئا مما تتحدث عنه، ولديك هذا المجنون فلتسأله..

قائد الشرطة:

كما تشاءان.. كما تشاءان.. أنتما من حكم على نفسه!

(يجرهما حيث الممثل والكاتب في جزء معتم من المنصة، ويأتي بالكاتب حيث الكرسي)

قائد الشرطة:

لقد اعترفا عليك، لكنهما أنكرا معرفتهما بالمواعيد وببقية المخطط

الكاتب (ضاحكا)

قائد الشرطة:

هذا لن ينفعك.. لقد اتضح بأنك لست مجنونا، والآن آن وقت الاعتراف..

هيا قل، ما هو المخطط كاملا؟

الكاتب:

لتخبرني أنت أولا: ما هو أول هذا المخطط المزعوم؟ وماذا قال لك ذانكما المسكينان؟

قائد الشرطة:

أنا من يسأل ولست أنت.. وقد أخبرتك: قد اعترفا..

الكاتب:

اعترفا بأني كاتب وبأنك شخصية من شخصياتي؟

قائد الشرطة:

ماذا؟

الكاتب:

هذه هي الحقيقة يا قائد الشرطة.. أنت شخصية من الشخصيات، وأنا من ابتكرك.. وجعلك في مهنتك هذه، ويمكنني بجرة قلم أن أغير تاريخك كله، وأجعلك شخصية أخرى!

قائد الشرطة:

إنك فعلا خبيث وبقمة الذكاء، ولست مجنونا، وهذا هو الدليل على أنك مجرم وتخطط لأمر ما..

الكاتب:

بالنسبة للذكاء فأنا كاتب ذكي، وبالنسبة للجنون فبيني وبينه شعرة كما يقولون، فالكتاب لهم تصرفات مجانين أحيانا.. المهم أنني لست مجنونا..

قائد الشرطة:

من المؤكد أن حواري معك لن يفضي إلى نتيجة.. ومن المستحسن أن تنال نصيبك كما يناله شريكاك!

الكاتب:

ربما.. لكن صدقني، هؤلاء لا علاقة لهم بأي مخططات.. إنهم مساكين!

قائد الشرطة:

سأعرف من هو المسكين..

(يجره إلى العتمة حيث الآخرين، فيما يخرج الممثل ويضعه إلى الكرسي)

الممثل:

سأصعد الأمر، ولن تنجو بأفعالك هذه! نحن أناس لدينا حقوق!

قائد الشرطة:

وماذا أيضا؟

الممثل:

إنك تنتهك حقوقنا الدستورية، والقانون لا يخولك أن ترمي بالناس

الأبرياء في السجون! هل أنت قائد الشرطة الذي يحمي المدينة وأهلها من البؤس؟ أم أنك أحد الطغاة الذين نسمع عنهم في التاريخ؟

قائد الشرطة:

إن كنت طاغية لن ترى هذه المدينة الأمان ولما وجدت نفسك سليط اللسان هكذا! ولكنني أحمي المدينة من الشرور المتربصة بها، وهذه الأيام أيام عصيبة.. وعليك التزام النظام كي لا تحدث الفوضى! هل تفهم؟

الممثل:

أي نظام هذا الذي يخولك أن تمسك بالبريئين؟ إن الناس الذي تحتجزهم لا سوابق لهم، وهم أناس أبرياء.. من الأفضل أن تبحث عن السيئين الذين يهددون النظام فعلا وليس هؤلاء!

قائد الشرطة:

بما أنهم أبرياء، فمن المؤكد أنك تعرف غير الأبرياء!

الممثل:

هه.. أعرف أنك تريد توريطي بالحديث في هكذا أمور، ولكن ليكن في معلومك بأن الناس الذين تحتجزهم فعليا أبرياء!

قائد الشرطة:

حتى ذلك الذي يدعي بأنه كاتب؟

الممثل:

نعم، وما قاله هو الحقيقة المرة التي علينا جميعا أن نصدقها

قائد الشرطة:

هذا كلام خطير..

الممثل:

بالطبع.. إذ ليس من المعتاد أن تصحو باكرا وتكتشف بأنك ممثل أو شخصية تم رسمها في عمل مسرحي!

قائد الشرطة:

والأخطر من هذا أنك تروج لمثل هذا الكلام، وهذا لا يعني إلا أنك شريك أساسي لهذا المجرم!

الممثل:

ماذا؟

قائد الشرطة:

طبعا.. فأنت واحد من الناقمين الدائمين على المدينة.. لقد اتضحت الصورة الآن!

الممثل:

صورة؟ أي صورة؟

قائد الشرطة:

بأنك مجرم من المجرمين، أنت وصاحبك الذي يقول عن نفسه بأنه كاتب! هذه هي الصورة ولا حاجة لنا الآن إلا معرفة مخططاتك مع صاحبك!

الممثل:

مخططات؟ إنك لا تفهم أبدا.. أبدا

قائد الشرطة:

سنعرف من هو الذي يفهم في حينه..

صمت ثم تتلاشى الإضاءة..

عاشرا: اجتماع على الأنقاض!

(منصة العرض الآن خالية، ويمكن أن تظهر لنا في خلفيتها ظلال تعذيب، فيما الأنين يرتفع)

الراوي (متجولا بقلق على منصة العرض):

أكاد أجن! أهذا هو الذي يمكن أن يحدث؟ أو لأكن أكثر دقة: أهذا هو الذي حدث بعد ذلك؟ لا، لا يمكن! كيف للكاتب أن يقع في هذا الفخ؟ كيف له أن يسقط في شرك نصه، ويصبح معذبا من المعذبين؟ يا للهول! ما أخشاه الآن أن أجد نفسي أيضا معرضا للضرب والإهانة والذل! أن أعيش تجربة التعذيب المتواصلة، وليس لدي ما أقول لأني لا أعرف أي شيء! والأكثر نكاية أنهم ينسجون الحكايات والتهم، وسيصورونني على أنني المجرم رقم واحد في كل المدينة، والذي لديه خطط ومكائد متواصلة لكي يهدم المدينة بمن عليها!

لحسن حظي أني الآن فقط أبحث عن النص كي أركبه كما يشاء الكاتب، لكن كيف سأخبره في ختام هذه الأحداث أنه تعرض للتعذيب؟!

المهم، أنه بعد أن لم يعد بمقدور قائد الشرطة أن يفعل أي شيء تجاه المحتجزين، نفدت كل وسائله في الاستجواب، وكلما زاد من جرعاته الاستجوابية كان لا يجد أي صدى! فكل واحد من الأربعة كان يقول الإجابات ذاتها:

أصوات:

صاحب المقهى:

إننا لا نعرف غير ما ذكرناه من قبل، هو المجرم صدقنا

البقال:

إذا كنت عرفت بأنه المخطط الأكبر، فعليك أن تعلم أننا لا نعرف أي شيء..

الكاتب:

قلت لك بأنني كاتب هذه المسرحية، وبأنك شخصية من الشخصيات! وأنت على ما يبدو قد خرجت من نطاق تحكمي!

الممثل:

إنه يقول الحقيقة، وعليك أن تصدق! ليس هناك أي مخطط لأي مؤامرة، والمدينة قد بليت بأمثالك! ستندم ذات يوم صدقني!

الراوي:

ولا أعرف لماذا تحملوا كل ذلك التعذيب؟ لماذا لم يقولوا ما كان يريده قائد الشرطة؟ كانوا سيرتاحون! عمليا سيدانون وربما يتهمون بالخيانة العظمى! وربما كانت هذه هي الأحداث التالية! غير أن هذا لم يحدث مطلقا، وقد أصاب قائد الشرطة اليأس، خاصة أنه لم يجد بائع السمك والذي كان يمكن أن ينهي عذاب هؤلاء المساكين، ويغلق باب القضية! حتى أنا لم أعرف أين ذهب بائع السمك.. لربما صدق الكاتب في هذه النقطة بالتحديد

وكان الخلاص على يدي هذا السماك المسكين! لكن هل صدق الكاتب حتى الآن؟ إنه لم يتوقع أن يقع في هذه المصيدة، فكيف يعرف المستقبل؟ ويعرف أن رجلا مسكينا كبائع السمك يمكن له أن ينقذ المدينة؟ إنه رجل عادي ولو كان قادرا على التفكير والتخطيط لكان استطاع أن يظل في مهنته: بيع الأسماك التي يصطادها! غير إنه فقد قاربه الوحيد، ولم يعد بمقدوره أن يبيع سوى أسماك شيخ التجار الذي يمونه بالأسماك الضرورية كي يبيعها مثلجة في الأحياء الفقيرة من المدينة! ويا ليته يكسب شيئا! إنه رجل مسكين ويعتمد على ما قد يعطى إياه بعد رضا شيخ التجار!

دعونا من هذا المسكين، ولنذهب لنرى ما يحدث في اجتماع قيادة المدينة، الاجتماع الذي لن يحضره رئيس البلدية الذي يواصل رقاده، فيما المدينة تزداد عطبا يوما بعد يوم، ويقل الاعتناء بها!

(في هذه اللحظة تزاح الخلفية عن صالة الاجتماع، مما سيحول المنصة كاملة إلى غرفة الاجتماعات.. سيظهر أمامنا الشرطي وقد بان عليه الإرهاق والتعب

يدخل الشرطي فاتحا المجال للمجتمعين للدخول، والذين هم: شيخ التجار، رئيس تحرير الأجهزة الدعائية، نائب رئيس البلدية، مهندس الاتصالات الخارجية، وآخرون ليسوا مهمين كثيرا في هذه المرحلة!)

الشرطي:

سيدي قائد الشرطة سيأتي بعد قليل أيها السادة.. إنه ينهي موضوعا عاجلا وسيأتي.. تفضلوا أنتم واشربوا القهوة والشاي، فما هي إلا خمس دقائق ويأتي.. بإذنكم

(ينصرف)

نائب رئيس البلدية:

ماذا يريد منا قائد الشرطة هذه المرة؟ ألم يقبض على العاطلين ويزج بهم في الحبس؟

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

ألم يصلك الخبر؟ ألا تقرأ صحفنا؟ ألا تتابع التلفاز والإذاعة؟ لقد قام بالقبض على متآمرين جددا.. وبكل تأكيد هذا الاجتماع من أجل هذه القضية الجديدة

مهندس الاتصالات الخارجية:

ألا تكف مدينتنا عن هذه الأوضاع؟ لقد باتت سمعتنا سيئة.. إنني كل يوم أتلقى رسائل ومؤشرات على نقد واسع للوضع الحاصل في المدينة.. منذ اللحظة التي مرض فيها رئيس البلدية، والأمور إلى سوء.. وكأن هذه المدينة تعيش على نفس رجل واحد!

نائب رئيس البلدية:

ماذا تقصد؟ هل تراني مقصرا في أداء عملي نائبا للرئيس؟

مهندس الاتصالات الخارجية:

أنا لم أقل ذلك، ولكن الوضع بات سيئا..

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

الوضع فعلا سيء، وعلينا أن نعترف بذلك

نائب رئيس البلدية:

وماذا قمت أنت الآخر من أجل إصلاح وضع كهذا؟ هذا إذا ما افترضنا أنه وضع سيء؟! كل أجهزتك الدعائية تؤكد أن وضعنا بخير، فهل أقول أنا عكس ذلك؟

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

نحن نقوم بواجبنا على أتم وجه.. هل تريد للناس أن يضجوا؟ أن يروا الجانب الأسود؟ إننا نقدم لهم صورة متوازنة، وهذا هو دورنا.. لكن أصلح أنت المفاسد التي لديك ثم تعال واطلب منا أن نقدم صورة غير هذه الصورة

مهندس الاتصالات الخارجية:

وأنت يا شيخ التجار، يا ماسك الأوراق المالية والحسابات والخزينة، لماذا لا تعلق وتقول شيئا؟

شيخ التجار:

هه.. وماذا تريدونني أن أقول؟ نحن لم نأت هنا كي نحاكم بعضنا الآن، قد أتينا لنسمع ما يريده قائد الشرطة، فهو بكل تأكيد بحاجة لأن يتحدث عن المشكلة الجديدة التي يواجهها، وعلينا جميعا أن نسمعه جيدا

(يدخل قائد الشرطة)

قائد الشرطة:

شكرا لك يا شيخ التجار.. أنت الوحيد هنا على ما يبدو المهتم بما يحدث في هذه المدينة

نائب رئيس البلدية:

وهل ترانا قصرنا تجاه مدينتنا؟ بالطبع هو الوحيد لديك الذي يهتم، فأنت دائما ما تحمي أمواله وتجارته، ثم تأتي وتقول لنا بأنك تحمي أموال المدينة ومصالحها

شيخ التجار:

اسكت أحسن لك، فأنت يفترض بك أن تكون الأخير الذي يتكلم! وإلا ما كانت حال المدينة هكذا

مهندس الاتصالات الخارجية:

بصدق أنتم تثيرون الضحك!

شيخ التجار:

وأنت أيها الخبير، يا مهندس الاتصالات هل جئت لهذا الاجتماع لكي تلقي موعظة؟ إنك في العادة لا تأتي لأنك مشغول بالتنسيق لاجتماعاتك في المدن البعيدة!

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

يا جماعة، نحن هنا لأمر آخر.. دعوا قائد الشرطة يقول ما لديه

شيخ التجار:

ماذا لديك يا قائد الشرطة كي تأتي بنا من أعمالنا على وجه السرعة هكذا؟

قائد الشرطة:

لقد علمتم جميعا اكتشاف الخلية الجديدة التي تحيك مؤامرة ضد مدينتنا، وعلمتم أننا أمسكناهم إلا واحدا ما زلنا نبحث عنه ولم نجده

شيخ التجار:

ظننا أنك أمسكت بمجنون هذه المرة، أليس كذلك؟

قائد الشرطة:

خلناه هكذا في البداية وعندما تأكدنا أنه ليس المجنون المطلوب عرفنا أنه شخص يعد لمؤامرة كبيرة.. طبعا هو ومن معه لم يعترفوا حتى الآن، ولكننا سنجعلهم يعترفون بجريمتهم

نائب رئيس البلدية:

والمجنون؟ هل أمسكتم به؟

قائد الشرطة:

لا، ليس بعد.. إننا نكثف البحث الآن عن المجرم الفار، بائع السمك!

شيخ التجار:

بائع السمك الذي رفض العمل معي وضمن اشتراطاتي التنظيمية؟ هو المجرم الفار؟

قائد الشرطة:

هو بأم عينه!

مهندس الاتصالات الخارجية:

وكيف لبائع سمك أن يفلت من قبضتك يا قائد الشرطة؟

قائد الشرطة:

في الواقع نحن جادون في البحث عنه، ولكن الأمر ليس سهلا كما يبدو..

نائب رئيس البلدية:

بالطبع.. ليس سهلا، فأنتم لم تقبضوا بعد عن المجنون، فكيف ستقبضون على بائع سمك؟

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

أرجو أن نظل في الموضوع الأساس ولا داعي للدخول مرة أخرى في الخلافات.. وأنت يا نائب رئيس البلدية، ينبغي عليك أن تدرك فعلا أنك آخر من ينبغي عليه الحديث

قائد الشرطة:

لا عليك يا رئيس تحرير الأجهزة الدعائية، إنه يحاول أن ينفس عن فشله في أن يكون كرئيس البلدية، ذا قوة وشخصية!

نائب رئيس البلدية:

ماذا تقصد؟ هل تراني لا أملك شخصية؟ كيف إذن وصلت إلى ما وصلت إليه؟

شيخ التجار:

ونسيت أنك قريب رئيس البلدية؟ ليس بالكفاءة وحدها يصل المرء يا هذا! أم تريدنا أن نسرد عليك تاريخك الطويل حتى وصلت إلى هذا المكان الذي أنت فيه الآن؟

نائب رئيس البلدية:

هذا كلام لا يسكت عليه، وإني سأرفع تقريرا لرئيس البلدية وأخبره بالإهانات التي وجهت إلى شخصه

مهندس الاتصالات الخارجية:

وهل تحدث أحدنا عن رئيس البلدية؟ ثم هل نعتبر هذا تهديدا من قبلك؟

قائد الشرطة:

يا جماعة، اتركوه كي ينفس عما في داخله.. لتكتب التقرير، وإن كنت تريدنا أن نوقع عليه فنحن جاهزون.. هيا، هيا، اكتب تقريرك كي نوقعه ونشهد فيه بصدق كلامك

نائب رئيس البلدية:

لقد طفح الكيل.. أنا منسحب من هذا الاجتماع الغبي..

(ينصرف)

قائد الشرطة:

حسنا.. بما أن الأحمق قد انصرف كالعادة، دعوني أخبركم بالأشياء السيئة التي يمكن أن تحصل للمدينة ولكم إن لم نتكاتف جميعا

شيخ التجار:

لا أعتقد أن هناك مشاكل.. إنك ربما تضخم الأمور!

قائد الشرطة:

بل هناك مشاكل، ومشاكل عويصة..

مهندس الاتصالات الخارجية:

ماذا لديك هذه المرة؟

قائد الشرطة:

لقد انتزعنا من كبيرهم اعترافا مهما وخطيرا

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

هاه، وما هو ؟

قائد الشرطة:

إنه يخطط لمسحنا جميعا من المدينة، وإنه سيفعل ذلك عما قريب..

شيخ التجار:

وكيف سيفعل ذلك وهو في قبضتك الآن؟ لا تقل لي بأن بائع السمك الوضيع هو من سيكمل المهمة؟

مهندس الاتصالات الخارجية:

وهل تعتقدون أنه من السهولة أن يمسحنا أحد؟ لابد أنه يهذي من كثرة التعذيب على يديك يا قائد الشرطة

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

لا تقلقوا، أنا سأعمل على جعل بائع السمك أضحوكة المدينة، سنعتبره مجنونا أو أحد السذج الأغبياء الذين ينبغي الابتعاد عنهم.. صدقوني هذه مهمة سهلة

قائد الشرطة:

لا، ليست سهلة..

شيخ التجار:

لا تعقدها أرجوك..

قائد الشرطة:

لست أعقد أي شيء.. هذا المجرم يدعي بأنه كاتب، وبأننا شخصياته، وبإمكانه أن يمسحنا لو شاء.. فقط بجرة قلم، وليس على يدي بائع سمك لا حول له ولا قوة!

شيخ التجار:

ههههه.. كلامك هذا يضحكني.. كاتب ونحن شخصياته؟! هذا هو الجنون بعينه

مهندس الاتصالات الخارجية:

كل هذا الاجتماع من أجل أن تخبرنا بأنك أمسكت بكاتب مجنون؟

شيخ التجار:

على هذا لا تبدو في الأجواء أي مؤامرات.. يبدو أن العمل الكثير أرهقك يا قائد الشرطة!

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

إن كان كاتبا فلا تخش منه.. الكتاب لا يثيرون الخوف! وإن كان مجنونا، فأنت تضيف إلى عملك عمل المصحة، ووجب عليك أن تضعه هناك!

قائد الشرطة:

أتمنى أن يكون كلامكم صحيحا، وأن أكون أنا مرهقا من كثرة العمل.. لكنني أحس أنه يتكلم بجدية..

شيخ التجار:

لتذهب يا عزيزي في إجازة.. ما رأيك أن ترافقني إلى البستان الذي اشتريته مؤخرا في جنوب المدينة؟ سترتاح كثيرا هناك..

قائد الشرطة:

لكني أخشى أن يحدث شيء

مهندس الاتصالات الخارجية:

لا تقلق.. سنذهب جميعا في هذه الرحلة الترفيهية، فنحن في حاجة لأن نستريح قليلا..

رئيس تحرير الأجهزة الدعائية:

فكرة جيدة، إنك يا شيخ التجار تحسن طرح الأفكار الجميلة

شيخ التجار:

كانت الدعوة لواحد، ولكن إن كنتم مصرين فلا بأس.. سنذهب جميعا..

صمت ثم تتلاشى الإضاءة..

حادي عشر: ماسة في فم السمكة!

(في إحدى ساحات المدينة، حيث كان المقهى، وقد أصبح مكانه الآن بناء كبير لأحد التجار الكبار

وقت العصر)

الراوي:

لن أكذب عليكم.. لقد فشلت في البحث عن نص الكاتب! ولم أعرف ما حدث بعد ذلك.. طوال أكثر من خمسة عشر عاما وأنا أراقب الوضع، وأبحث عن تتمة النص! لكن الزمن كان يجري، ولا يحدث سوى ما هو مكتوب في أسطر المستقبل! وظلت المدينة على حالها ما دام رئيس البلدية مريضا وعاجزا عن القيام بمهامه الوظيفية.. وعندما أفاق، طلب كأس عصير برتقال! لكن حاشية الخدم لديه والذين تغيروا أكثر من مرة أحضروا له قهوة جاهزة وبلا طعم.. فما كان منه إلا أن غضب عليهم جميعا، وأمر بأن يتم تغييرهم!

ليست المشكلة هنا، بل المشكلة أنه فجع من منظر المدينة والعمال الكسالى الذين كانوا يخافون من طقطقة حذائه، ولم يعودوا الآن يشعرون بذلك الخوف.. ربما لأن الزمن كفيل بإلهاء المرء عن خوفه! لقد مر وقت طويل عليه وهو في حالته المرضية، ولذلك من السهل جدا أن لا يتوقعوا بأن يفيق أو أن يتغير الوضع المأساوي للمدينة..

لم يعيروه أي اهتمام وهو يقول لهم أنا رئيس البلدية، بل كان من أحدهم أن قال بكل وقاحة:

ـ رئيس البلدية نائم تدلك أصابعه عاهرة!

وقال عامل آخر:

ـ من زماااان وهم يقولون بأن رئيس البلدية سيأتي، ولكنه لا يأتي ولا نشم عنه أي خبر!

أما العامل الثالث الذي صادفه فقد كان يشرب زفتا، وقال له مترنحا:

ـ إن كنت أنت رئيس البلدية فمن أكون أنا؟ هل تضحك علي يا جربوع؟ أم أن شيخ التجار وأعوانه طلبوا منك أن تمثل هذا الدور؟ اسمع.. اذهب إلى أولئك الحمقى وأخبرهم أنني أبول عليهم جميعا أنا رئيس البلدية.. وتفو عليك يا حقير!!

ذهل رئيس البلدية من ذلك الفعل، وعاد إلى مقره واستدعى جميع رجالات المدينة، ثم أمرهم بالاستقالة جميعا وأولهم نائبه الذي بكى بكاء مؤثرا وهو يتوسل رئيس البلدية أن يعفو عنه!

لكنه بعد أيام لم يجد أحدا ليعينه في المناصب التي استقال أصحابها، فقرر أن يعيدهم مجددا حتى يجد أشخاصا مناسبين!

كان هذا منذ ما يقارب خمس سنوات، وقد تغيرت أوضاع المدينة تقريبا، وعاد العمال يعملون بجد لأنهم كانوا يرون حذاء رئيس البلدية عن باب مكتبه كل يوم!

أعرف أنكم تريدون أن تعرفوا ما حل بالمساكين الذين تم احتجازهم

تلك المدة الطويلة في الحبس! لقد تم الإفراج عنهم مؤخرا والفضل يعود إلى صاحب هذه البناية الجديدة.. إنه بائع السمك! والذي بنفسه سيخبركم كيف أصبح صاحب عمارة..

(فيما الراوي ينسحب، يدخل البقال، وصاحب المقهى، والكاتب

والممثل، ومعهم الخطيبة وقد وضحت عليهم أعراض الزمن وتقلباته، يتلقاهم بائع السمك ـ الذي بدا أكثر شبابا ـ عند باب البناية الكبيرة)

بائع السمك:

أخيرا نلتقي أيها الرفاق!

البقال:

هذا أنت الذي أخرجتنا؟

بائع السمك:

الحمد لله على عودتكم

صاحب المقهى:

أين مقهاي؟ كان لدي هنا مقهى.. حتى هذا صادروه

الخطيبة:

لا يا أبي، لم يصادروه.. لقد بعته لشيخ التجار كي أعيش

صاحب المقهى:

ولماذا لم تسأليني عن الأمر؟ هذا كل ما أملك

بائع السمك:

لا تقلق يا صديقي.. ستمتلك اليوم مقهى أكبر وأفضل في هذه البناية..

البقال:

كانوا يبحثون عنك، واليوم أنت من يخرجنا من الحبس، وأيضا توفر مقهى

كمقهانا القديم؟

بائع السمك:

وكذلك محل كبير لك أنت يا صديقي.. هل يسعدك هذا؟

البقال:

أكاد أجزم أنك أنت المجنون الذي يبحثون عنه منذ سنوات!

صاحب المقهى:

إنك تسخر منا أليس كذلك؟

الخطيبة:

بل يقول الصدق يا أبي.. هذه البناية له!

البقال:

ماذا؟

صاحب المقهى:

أنت!

بائع السمك:

أعرف أن الأمر صعب قليلا، وخاصة أنكم كنتم جميعا في الحبس..

الخطيبة:

عندما عاد، جاءني يسأل عنكم، وقد كان حالي مزريا، فأخبرته أين يجدكم، ولم يصدق أنكم في الحبس وأن تهمتكم هي التآمر.. لم أسأله في

وقتها لماذا هو ما زال يانعا، بل أكثر مما كان عندما غاب؟ ومن أين له كل هذا؟ بل لماذا لم يقبضوا عليه عندما ذهب للمطالبة بكم؟

البقال:

آآآه يا رأسي.. يبدو أنهم نقلونا أخيرا للمصحة

صاحب المقهى:

كانت لحظة مشؤومة عندما جئت إلى مقهاي ذلك اليوم! أنت السبب في كل ما جرى لنا أيها الكاتب الهمام!

الكاتب:

أرجوك.. لا تقلب المواجع عليّ.. أنا أكثر منكم تألما! إني لم أستوعب كل هذا الذي حدث، لم أستوعب لماذا حتم عليّ أن أعيش هذه التجربة المريرة؟ ولماذا لم أستطع فعل ما ينبغي أن أفعله من قبل؟

الممثل:

المشكلة أنني صدقتك! وضيعت عمري وراء أمل أن تخلصني من ذل هذا العمل الذي ما زلت تدعي أنه عملك!

البقال:

لو أني أملك القوة كما كنت في شبابي لكنت الآن ألف يدي حول عنقك وأخلص هذا العالم من مجانين مثلك!

بائع السمك:

أرجوكم.. إن لهذا الرجل أفضالا عليّ! لقد صدقت نبوءتك، وها أنا في وضع آخر

الكاتب:

لا لم تصدق أي من نبوءاتي

بائع السمك:

اسمع.. يومها اكتشفت أني أملك خياري في الحياة، وقد قررت وقتها أن أسعى كي تتحقق نبوءتك الجميلة! خرجت إلى البحر، ولا أحد يعلم.. ذهبت لأصطاد وأفكر مليا فيما قلت.. لكن قارب أبي القديم ألقى بي في وسط البحر.. خشيت أن أموت، فقررت أن آكل كل السمك الذي اصطدته.. وكنت كلما أكلت سمكة غير مطبوخة ينطبخ رأسي بالأفكار الغبية، فأتوهم بأن السمكة التالية لابد بأن بها خاتم الألماس! وحتى عندما وقع في يدي لم أصدق! كان خاتما ضخما وقيما.. ولكن ما أفعل به وأنا جائع وعطش وفي وسط البحر؟

ضحكت على نفسي، وظل الموج يعبث بي، حتى ألقاني إلى شاطئ بعيد.. خلت في البداية أنه شاطئ من شواطئ المدينة، ولكنني اكتشفت أنني في بلاد بعيدة.. وقتها تأكدت أن كلامك صحيح، وبأن الذي حدث لي ما كان ليحدث لولا أنني مهيأ لأمر جلل! هناك أيقنت أن لي حياة أخرى، غير صيد السمك وبيعه، أو الجلوس في المقهى أثرثر عن أوضاع المدينة! كان ينبغي أن أعرف هذا الأمر منذ زمن، ولكن كما يقولون: أن تصل متأخرا خير من ألا تصل أبدا!

المهم، بالخاتم الألماس هناك بدأت حياة جديدة..

البقال:

إذن الخاتم الذي في بطن السمكة حقيقي؟!

صاحب المقهى:

وألماس أيضا؟!

الخطيبة:

وأنا التي كانت تظن أنه الخاتم الذي ألبسه!

بائع السمك:

نعم، إنه حقيقي، وألماس من الدرجة الأولى.. قطعة الماسة مميزة وبلون يميل إلى لون الورد!

الممثل:

الماسة الوردية؟! إني أعرفها!!

بائع السمك:

تلك ماسة مزيفة، لا تصدق كل شيء.. المهم.....

البقال:

المهم أنك بعت الخاتم واشتريت البناية من أجلنا!

بائع السمك:

هل ستسمعونني؟ أم ستقاطعون كلامي؟ ألا تهمكم الحكاية؟! حكايتي مع الأيام؟ وكيف أصبحت الرجل الذي أمامكم الآن؟ هه.. أخبروني!

الكاتب:

بل هي حكاية مهمة، وأعتقد أنها هي تتمة المسرحية!

الممثل:

لا داعي لأن تذكرني بالخديعة! يكفي ما حدث..

بائع السمك:

لكنه محق مجددا!

صاحب المقهى:

إذن أكمل حكايتك ونحن سننصت بانتباه

بائع السمك:

رهنت الخاتم ولم أبعه، لأنه أول الفأل الطيب.. وحصلت على مال كثير، وقررت أن أصير تاجرا، تاجرا كبيرا لأصارع بعد ذلك شيخ التجار، ولا أدعه يلمس أي قارب من قواربي التي قررت أن أشتريها ولا أن أدعه يعيدني إلى حالة الفاقة التي كنت فيها من قبل!

الممثل:

من أجل ذلك فقط هاه؟! يا للجهل!

بائع السمك:

لحظتها فكرت هكذا، ولكن مع الوقت ومع المال تغير تفكيري.. ألا ترون أني أصبحت آخر غير ذلك الذي تعرفونه من زمان؟ لقد تأكد لي أكثر أن مهمتي لا تقتصر على أن أخلص نفسي من الشقاء، ومن قبضة شيخ التجار،

بل كل المدينة! كان لابد أن أصير بطلا يحقق نبوءة عراف ملهم، ويتحدث عنه الجميع!

البقال:

ما أروعك! هكذا هم الأبطال دائما!

صاحب المقهى:

لكنك جئت متأخرا جدا، بعدما تعرضنا لما لم تتعرض له أنت!

الكاتب:

وأنا لست عرافا.. أنا كاتب، كاتب هذه المسرحية!

الممثل:

هه.. كاتب البطولة.. بطولة بائع السمك.. هذا ما كنت أخشاه!

بائع السمك:

يكفيكم شرفا أنني أخرجتكم من الحبس، وهذا أمر مقدر أن يحصل.. فأنا بمالي وجاهي استطعت أن أشتري الكثير من أملاك شيخ التجار، الذي شاخ وضاع ماله ونفوذه، كما أصبحت واحدا من المقربين إلى رئيس البلدية، ولي حظوة في هذه المدينة..

الخطيبة:

وأنا أيضا اشتريتني بخاتم لا قيمة له

بائع السمك:

لا تقولي مثل هذا الكلام.. الخاتم الذي في أصبعك الآن هو ذاته خاتم

حظي الجميل، فأنا فككت الرهن وقررت أن أعطيه للفتاة التي سأتزوجها، والتي لن تكون إلا من هذه المدينة!

الممثل:

مهلا.. مهلا.. هل تقول إنك تزوجت خطيبتي؟

بائع السمك:

كنت أنت في الحبس، ولا يمكن لك الارتباط بأي فتاة فما بالك بها هي؟ وهي تعلم أنك لم تعد وفق مقاسها!

الخطيبة:

ماذا أفعل يا عزيزي؟ هل تريدني أن أنتظر حتى أشيخ؟ هذا هو قدرك: أن تدافع أنت عن قضايا خاسرة، وأن أتزوج أنا رجلا ثريا!

صاحب المقهى:

خسارة! رميت والدك خلف ظهرك ولم تسأليه رأيه في الأمر! ألم تفكري في أنه بائع سمك؟ وبأنه ليس في مستواك؟

البقال:

صحيح.. كيف أزلت رائحتك القديمة؟

بائع السمك:

وهل كانت رائحتي كريهة جدا؟ ألا أملء عيونكم؟ أنتم منذ ذلك الزمن البغيض وأنتم تستهينون بي! وقد صدق كلام هذا العراف الطيب..

الكاتب:

قلت لك كاتب، كاتب ولست عرافا..

بائع السمك:

المهم، برغم كل ما فعلته.. ما زلت في نظركم بائع السمك الوضيع! ثم ما بها مهنة بيع السمك؟ هاه؟

الخطيبة:

إنها المهنة الأروع يا حبيبي! ألم تحصل من ورائها على الخاتم؟ ومن ثم على كل هذا؟ إنها جميلة مثلك تماما! يا كل عمري!!

الممثل:

كنت أعلم منذ البداية أنك لا تناسبيني، ولست أبدا بمستواي أيتها الوضيعة!

بائع السمك:

لا تتكلم عن زوجتي هكذا وإلا أعدتك من حيث جئت!

الكاتب:

لا داعي.. فالنص هنا ينتهي، وآن للجميع أن يعرف أن المسرحية وصلت إلى نهايتها!

البقال:

عاد الرجل إلى حديثه المجنون!

الكاتب:

كان لابد أن يحدث كل هذا لأعلم أي شيء أخذوه مني!

الممثل:

يا ليتهم أخذوك بالكامل ولم نلتق ذلك اليوم!

صاحب المقهى:

هذا الكلام لا يهم الآن!

الخطيبة:

فعلا يا أبي، هذا لا يهم.. المهم أن تدخل معنا لترى أي مقهى أخذت لك!

صاحب المقهى:

في هذه البناية؟

بائع السمك:

بالطبع.. إنه مقهى مميز.. تعال.. وأنت يا صديقي البقال.. تعال أيضا لتشرف على محلك الواسع: الهايبر ماركت.. لقد خصصت لك طابقا بأكمله! هيا معي..

(يدخل الأربعة، فرحين.. فيما تخلو المنصة إلا من الكاتب والممثل)

الممثل:

ها قد عرفت الآن ما حدث بعد ذلك! عليك أن تجد مخرجا آخر يناسب مقاس مسرحيتك الغريبة!

الكاتب:

هل تعتقد أن كل شيء انتهى؟

المِمثل:

ماذا بعد؟ لربما تريدهم أن يأخذوا جزءا مني فأشوه! وأصبح متسولا في المدينة! هل سترضى ساعتها؟

الكاتب:

ليس هذا ما أقصد.. إنما....

الممثل:

إنما ماذا؟

الكاتب:

الجمهور.. الجمهور كان غائبا عن الأحداث الأخيرة!

الممثل:

لا تبدأ مجددا! إنهم نعتوني بالفاشل!

أصوات:

فاشل، فاشل، فاشل!

الممثل:

هل سمعت؟!

الكاتب:

سمعت، ورأيت، ولا أعرف ماذا أفعل؟

المُمثل:

ليست مسئوليتي! أنا فقط ممثل.. بإذنك

(ينصرف)

الكاتب:

أعرف أنها مسئوليتي وليست مسئوليتك أنت، وأعرف أنني أخفقت في كتابة النص الذي أريده، ولو كتبته كما يريدون لفشلت أكثر! أعرف.. ولكن ينبغي أن أكتبها!

(فيما يتخذ وضعية الاستعداد لكتابة النص جالسا على الكرسي إياه الذي كان في بداية المسرحية؛ يدخل الراوي)

الراوي:

اترك هذا الأمر لهؤلاء! القرار لهم وحدهم، وللزمن أيضا.. والآن.. اكتب النص!

ستار نهائي

مايو - يونيو

2009م

- حصل هذا النص على جائزة المركز الأول في مسابقة الهيئة العربية للمسرح بدورتها الثانية 2010

- قام المخرج حسين سالم بإعداد هذا النص وإخراجه ضمن مسابقة مهرجان المسرح العماني الرابع 2011

الفهرس

إصداراتنا

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
1	سرديات عمانية	نقد	محمد بن سيف الرحبي
2	على حواف الشعر	نصوص	محمدبن سيف الرحبي
3	خطى وأمكنة	رحلات	عبدالرزاق الربيعي
4	رحلة أبو زيد العماني (ط2)	رواية	محمد بن سيف الرحبي
5	حقول الكلام	مقالات	مسعود الحمداني
6	هذا الذئب يعرفني	نصوص	خالد بن علي المعمري
7	رحيق النار	نصوص	زهران القاسمي
8	الطبيعة في الرواية العمانية	دراسات	منى بنت حبراس السليمية
9	إيضاح الطريقة للفنون العريقة (فن المسبع)	شعر	خميس بن جمعة المويتي
10	إيضاح الطريقة للفنون العريقة (التغرود)	شعر	خميس بن جمعة المويتي
11	قديس يحلق بعيدا	شعر مترجم	الشاعر الكوري: تشو أهيون ترجمة:أشرف أبو اليزيد
12	مظلة الحب والضحك	نصوص	بشرى خلفان
13	الديك	رواية	سالم الجابري
14	رفرفة (ط2)	قصص	بشرى خلفان
15	نوارس الحكايات	قصص	محمد بن سيف الرحبي
16	حدود المشاوير	شعر شعبي	محمد الراسبي
17	إشكاليات الشعر في المسرح الشعري	دراسات	رقية بنت سيف البريدية
18	القافر	رواية	د. خالد الكندي
19	أدب الرحلات العمانية	دراسات	مريم الغافرية
20	مراثي زهرة الليمون	شعر	سالم بن عبد الله الحميدي
21	على سطحنا طائر غريب	مسرحيات	عبد الرزاق الربيعي
22	الدين والدولة	دراسات	خالد محمد عبده

تابع إصداراتنا

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
23	ورد اليتامى	قصص	سالم بن عبد الله الحميدي
24	روائح الفقراء	قصص	سالم بن عبد الله الحميدي
25	التشكيل الفني	دراسات	د.أحمد حالو
26	الشخصية الروائية	دراسات	كاملة بنت سيف الرحبي
27	يوم على تخوم الربع الخالي	قصص	خليفة العبري
28	فيض الإحساس	شعر	حبراس بن شبيط السمائلي
29	مرارة الذيب	رواية	د. خالد بن سليمان الكندي
30	حكايات عمانية	قصص	-
31	غياب على شرود الظل	نصوص	مريم السيابية
32	حياة بين زمنين	رواية	سالم الجابري
33	بيت وحيد بصحراء	قصص	يحيى سلام المنذري
34	أبجد هوز قواعد موسيقية	موسيقى	فكرة والحان د.ريهام توفيق /أشعار: نورة البادي/ توزيع: أحمد الجوادي
35	SALMA'S STORY	Biography	Mohammed bin Saif Alrahbi
36	LE DETECTIVE	Novel	Khalid Ben Soulayman AL-KINDI
37	فضاء حر	مقالات	سالم بن عبدالله الحميدي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

1	لعيني ديالي	نصوص	محمد بن حبيب الرحبي
2	الخيمة ومفاتيح الحظ	مسرح	عزة القصابية
3	لألىء عربية	مقالات	ناصربن حمود الحسني
4	بين قدرين	رواية	رأفت سارة
5	تحت المطر	مقالات	خالد بن علي المعمري
6	المشهد القصصي في الأردن	دراسات ونصوص	مجموعة كتاب أردنيين
7	الأيام الثقافية العمانية في الأردن	فعاليات	جمع وإعداد: أزهار أحمد

إصداراتنا بالتعاون مع البرنامج الوطني لدعم الكتاب بالنادي الثقافي

1	النباتات البرية في سلطنة عمان	علوم	يحيى بن سعيد الفطيسي
2	ابن عربي عندما يكون الحب حائرا	دراسات	عثمان بن موسى السعدي
3	نظرية قدامة	دراسات	قاسم بن سالم آل ثاني
4	القرائن في التراث النحوي	دراسات	د. خالد بن سليمان الكندي
5	دولاب محمد	قصص أطفال	سميرة الخروصي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للمسرح

1	الآخر في المسرح العماني	دراسة	د. كاملة بنت الوليد الهنائية د. سعيد بن محمد السيابي

طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان



هلال البادي

كاتب وإعلامي ومصور فوتوغرافي له مشاركات كتابية في عدة صحف عمانية، يعد ويقدم بعض البرامج في إذاعة سلطنة عمان، صدرت له عدة إصدارات في القصة القصيرة والمسرح، حاصل على عدد من الجوائز الأدبية محليا وعربيا..

للتواصل مع الكاتب: Hilalb1978@gmail.com

ماحدث بعد ذلك..

كلكم تقولون ذلك.. حتى أنت الآن تقولين: السلامةَ السلامة.. ما أضاعنا سوى هذا الصمت الغبي.. لكنني صاحب قضية، ولن أكف عن الكلام، ولن أصمت، وسأكشف كل ما يدور في المدينة من سوء، فإما أن يستقيموا وتعود مدينتنا إلى حالها الآمن، أو أن أذهب إلى أعمق ما يمكن أن يتصورا، ولن توقفني مثل هذه التهديدات





ISBN 978-99969-55-43-3

